ألفا للنشر والتوزيع

سلسلة بيوتنا وإدارة الذات

على أعتاب الزواج

الدكتور

أكرم رضا

3

على أعتاب الزواج

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١١٨٣٠م

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لشركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع (ش.م.ذ.م) جمهورية مصر العربية ويحذر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ للكتاب – كاملاً أو مجزءاً – أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر الخطية موثقاً.

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦١٣٦٤٢

الناشر: شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع

٤٤٦ ش الملك فيصل – برج النصر النور الخامس – الهرم – الجيزة – مصر
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٧٨٠٢٧٧٢ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٠٠٠٢٦
Email: alfa_eg@yahoo.com
alfa_eg@hotmail.com

بيوتنا وإدارة الذات

[٢]

على أعتاب الزواج

مهارات الاختيار والخطبة

د. أكرم رضا

الإهـــداء

إلى بناتي.....

حنان وعلا ويمنى ونورا.......

والى كل البنات والشباب على أبواب الزواج حتى لا تبهركم الأضواء.

هذا هو الطريق إلى السعادة ....

بابا أكرم

من الدستور الإلهي

﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

﴿ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ولَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

من الهدي النبوي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ». رواه الترمذي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».

رواه البخاري.

المحتويات

مقدمة: الأحلام المباحة.

مدخل: الزواج كله خير.

الباب الأول: من فقه الاختيار.

الفصل الأول: حسن الاختيار بداية الاستقرار (معايير الاختيار).

الفصل الثاني: مَنْ لا يحل خطبتها.

الباب الثاني: بداية الأحلام.

الفصل الأول: كيف تختار زوجة تسعدك؟

الفصل الثاني: كيف تختارين زوجًا يكرمك؟

تدريب عملي على: كيف تختارون؟

الباب الثالث: حتى نحقق الأحلام.

الفصل الأول: من فقه الخِطْبة.

الفصل الثاني: اللقاء الأول.

الفصل الثالث: مهمات مرحلة الخطبة (الاتفاق – التأكد – التقارب).

مقدمة

الأحـــلام المُبَاحَة

حقًّا إنها فترة الأحـلام! تلـك الفـترة الـتي تنقـدح فيها أول شرارة للألفـة بـين الفتـى والفتـاة. إنهـا فـترة الاختيـار والخطبـة؛ وهـي الخطـوة الأولى في تكـوين البيت، ومدخل الجسر الذي إذا تم فإن الإنسـان المسـلم يَعْبُر عليه من كونه مجرد فـرد مسـلم ليصبـح عضـوًا في أهم خلية من خلايا المجتمع، بل في البنية الأساسية لبناء المجتمع؛ ألا وهي الأسـرة المسـلمة. تلـك الأسـرة الـتي تحدث الكثيرون عن أهميتها ومكانتها وحكمتها.[1]

(١) راجع ما كتبه المؤلف حول ذلك في باب (حكمة البيت المسلم) من كتابه (قواعـد تكـوين البيت المسلم).

ولَمَّا كان للأسرة في الإسلام هذه الأهمية، وكانت النظرة الحقيقية إليها على أنها أساس المجتمع، فقد عني الإسلام عناية خاصة بشئونها وبكل ما يتعلق بها من مبادئ تنهض على هداها، كما عني بما يتصل بها من حقوق وواجبات، وبما لها وما عليها.

ومن المعلوم أن السنة النبوية الشريفة -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- مبيِّنة للقرآن الكريم؛ مفصِّلة لِمُجْمَله، وموضِّحة لِمُبْهَمِه، وأن ما أجمله القرآن فصَّلته السنة من أحكام العبادات وغيرها؛ فقد ذكرت في القرآن الكريم على طريق الإجمال، فوضَّحها وفصَّلها رسولُ الله ﷺ بقوله وفعله. أما فيما يتصل بشأن الأسرة وما يتعلق بها من حقوق وواجبات، وما يتصل بها من أحكام، فقد ذكرها الله -سبحانه وتعالى- مفصَّلة في القرآن الكريم.

ومن اللحظة الأولى التي يبدأ فيها التفكير في الزواج ينزل التشريع..

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ثم بعد ذلك توضع ضوابط العَقْد، ويسمى ميثاقًا غليظًا، وتوضع ضوابط العِشْرة بين الزوجين وضوابط الحقوق المتبادلة بين الزوجين؛ بل ويهتم القرآن اهتمامًا عظيمًا جدًّا بقضية (فرقة البيت المسلم) إذا حدث في البيت أو في الأسرة فرقة أو طلاق مثلا. وهكذا يفصل القرآن؛ فلا يدع

جزءًا من أجزاء الأسرة إلا ويفصِّله، حتى الرضاعة بعد الطلاق، وحتى المتعة بعد الطلاق؛ بل وحتى الطلاق قبل الدخول، وحقوق الزوجين، كل هذه الأمور يفصلها القرآن حتى لا يكون هناك مجال لتدخل بشري في كيان لم يخلقه البشر.

فعني الإسلام بتوضيح كل ذلك في القرآن من أول لحظة لبدء الزواج وإنشائه، إلى أن يتفرق كل منهما بالموت أو بالطلاق (لا قدر الله)، وما يتصل بكل الأحوال من أحكام، ثم كانت السنة هي التطبيق العملي لتلك الأحكام القرآنية المفصلة في أغلب الأحيان، فزادت الأمر توضيحًا وتفصيلا وتأكيدًا. وكان هذا من حكمة الله سبحانه وتعالى؛ عنايةً بشأن الأسرة لأهميتها في الحياة؛ ولأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع، وحتى لا تكون أحكامها بعد ذلك عرضة للأهواء والانحراف بها يُمْنَة أو يسرة، ومحاولة التقصير في حق من الحقوق أو الإهمال في واجب من الواجبات.

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله-: «إن كانت عناية الإسلام بالعبادات جعلت أحكامها عملية يتولى النبي تفصيلها لتربي النفوس عليها بالتدريب والتهذيب لا بمجرد التلقين، فعناية الإسلام بالأسرة كانت بالنص الكامل على نظامها؛ لكيلا ينصرف الناس بأهوائهم عنها، ولكيلا ينكروا تطبيقها ويجعلوا لعقولهم بابًا للتحكم في أحوالها ونظامها، ولأنها متصلة بالرضا والغضب بين الزوجين والأقارب، فكان لا بد من ميزان مقرر ثابت يحكم الأهواء ويضع الأمور في مواضيعها».[1]

---

(١) «القرآن الكريم المعجزة الكبرى»، محمد أبو زهرة، ص (٦٨)، دار الفكر العربي، القاهرة.

ولذلك فإن معرفة الأسس التي بنى عليها الإسلام مؤسسة الأسرة خير ميزان يحكم الأهواء، ويضع الأمور في نِصَابها.

والحديث حول الأسرة المسلمة يأخذ أحد أشكال ثلاثة:

- إما حديث فقهي يحتوي على الأحكام والضوابط والفتاوى الشرعية في أمور الخِطْبة والزواج والعقد.
- وإما حديث وعظي حماسي يمتلئ بالقصص والمواقف والكلمات الجذابة.
- والحديث الثالث هو الحديث العملي المرتب الذي يدور ضمن ضبط العلاقات، واكتساب المهارات في التعامل مع كل مرحلة من مراحل الزواج.

ومن خلال الدراسة الميدانية والدراسة البحثية اكتشفت الحاجة الشديدة لمعرفة فقه الزواج وإدراك مهارات الاختيار والخطبة، باعتبار ذلك مدخل الجسر للعبور إلى جنة الأسرة ونعيم الرشد ولذة المسئولية، ولهذا كان الحديث عنها في هذا الكتاب لا بد أن يتناول الجانبين؛ الجانب الفقهي الضابط للأحكام، والجانب العملي المنمي للمهارات؛ ذلك حتى يكون مرشدًا عمليًّا للشباب ذكورًا وإناثًا على أعتاب الزواج.

وقد بدأت الكتاب ببيان بهجة الزواج؛ حيث إنه خير كله، ثم عقدت بابًا للاختيار وآخر للخطبة، وقسمت كل باب إلى فصول تتناول المجالين (الفقه والمهارات)، والآن هيا نكتسب الخبرات على أعتاب الزواج.

د. أكرم رضا
مايو/ ٢٠٠٥

مدخل

الزواج خير كله

الحث على الزواج والإسراع فيه:

ونحب أن نرصد هنا الجانب العملي التصنيفي في حياة النبي ﷺ وأصحابه في التعامل مع قضية الزواج.

١- الرسول يسعى في التبكير بتزويج البنين والبنات:[(١)]

في حديث طويل، يأتي النبيَّ ﷺ اثنان من أبناء عمه، فينصحهما ويأمر بتزويجهما؛ بل ويخطب لهما، ويدبر لهم أمر المَهْر.. يحكي لنا أحدهم القصة فيقول:

«... فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ، فَقُمْنَا عِنْدَهَا حَتَّى جَاءَ، فَأَخَذَ بِآذَانِنَا ثُمَّ قَالَ: «أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ؟» ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، قَالَ: فَتَوَاكَلْنَا الْكَلامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ فَنُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَنُصِيبَ كَمَا يُصِيبُونَ. قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ. قَالَ: وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لا تُكَلِّمَاهُ.

---

(١) لبيان هذا التبويب الجيد للأحاديث انظر: (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، عبد الحليم محمد أبو شقة (٥/ ١٩ وما بعدها).

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ، إنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ. ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ» وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: فَجَاءَاهُ فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «أَنْكِحْ هَذَا الْغُلامَ ابْنَتَكَ» لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَأَنْكَحَهُ. وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: «أَنْكِحْ هَذَا الْغُلامَ ابْنَتَكَ»، لِي فَأَنْكَحَنِي. وَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا وَكَذَا...».(١)

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَكَسَوْتُهُ وَحَلَّيْتُهُ حَتَّى أُنَفِّقَهُ».(٢)

وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ، فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ. انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: انْكِحِي أُسَامَةَ، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ».(٣)

وقد كان أسامة يوم زوجه الرسولُ ﷺ فاطمةَ بنت قيس دون السادسة عشرة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب (الزكاة)، باب (ترك استعمال آل النبي على الصدقة). تُصَرِّران: أي تخفيان وتدبران، وتلمع: أي تشير، والخمس: هو نصيب الله ورسوله من النوافل..

(٢) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند الأنصار)، باب (باقي المسند السابق). جارية: أي بنت، أنفقه: أزوِّجه. والمقصود هنا: أن تحلى البنت في أعين الخطاب.

(٣) رواه مسلم، كتاب (الطلاق)، باب (المطلقة ثلاثًا ليس لها نفقة). البتة أي طلاقاً بائناً بينونة كبرى أي لا تعود إليه .. ولا يضع عصاه: أي كثير الترحال أو يضرب نسائه، اغتبطت: من الغِبْطة؛ وهي حسن الحال أو المَسَرَّة.وفي هذا دلالة على وجوب صدق المستشار وانه ليس في هذا غيبة.

٢- الصحابة يسعون في التبكير بتزويج البنين والبنات:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا».(١)

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً».(٢)

٣- الصحابة يسعون في تزويج الأرامل:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ.(٣)

---

(١) رواه البخاري، كتاب (فضائل القرآن)، باب (في كم يُقرأ القرآن). و كنته: الكنة هي زوج الولد.

(٢) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير).

(٣)التخريج السابق . تأيمت: أي مرت عدة وفاة زوجها. وكنت أوْجَد عليه: أي أكثر غضبًا.

٤- **الدولة المسلمة تعين على الزواج:**

وهذا يعني أن الدولة تدفع مهر الفقراء من بيت مال المسلمين. يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

وعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ، فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا».(١)

وعن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب، فذكرت أن زوجها لا يصل إليها، فسأل الرجل فأنكر ذلك، وكتب فيه إلى معاوية ﷺ قال: «فَكَتَبَ أَنْ زَوِّجه امرأةً من بيت المال لها حظ من جمال ودين».(٢)

٥- **الشريعة تبيح التعريض بخطبة المطلقة والأرامل أثناء العدة تمهيداً للزواج(٣):**

قال تعالى: ﴿ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].(٤)

---

(١) رواه أبو داود، كتاب (الخراج والإمارة والفيء)، باب (في أرزاق العمال).

(٢) رواه البيهقي في (السنن الكبرى)، (٧/ ٢٢٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٤ هـ ١٩٩٤م). ولا يصل إليها: أي يعجز عن جماعها.

(٣) سيأتي الحديث بالتفصيل عن خطبة المطلقة والأرملة.

(٤) لا جناح عليكم: لا إثم عليكم. عرضتم: لوّحتم، والمعارض بالشيء عن آخر. أكننتم: أخفيتم.

وفي قصة فَاطِمَة بِنْت قَيْس التي ذكرناها من قبل نجد أن النبي ﷺ يعرض لها بأن لها خطيبا عنده بعد أن تعتد، وذلك عندما قال لها: «فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُكِ فَآذِنِينِي»[١]، ثم خطب لها أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ.[٢]

٦- الشريعة تيسر الزواج فور انتهاء عدة الطلاق وعدة الوفاة:

تَقُولُ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ: «فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[٣].

وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةَ تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَلَمْ تَمْكُثْ إِلا لَيَالِيَ حَتَّى وَضَعَتْ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا خُطِبَتْ، فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي النِّكَاحِ فَأَذِنَ لَهَا أَنْ تَنْكِحَ فَنَكَحَتْ.[٤]

وفي رواية: «فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ».[٥]

٧- سهولة الزواج للمطلقة والميت عنها زوجها:

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، ذكرنا بعضها فيما سبق ونذكر هنا طرفًا منها:

---

(١) آذنيني: أعلميني. وفي هذا تعرض بالرغبة في خطبتها، وبعد انتهاء العدة خطبها رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد.

(٢) رواه مسلم، كتاب (الطلاق)، باب (المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها).

(٣) رواه مسلم، كتاب (الفتن وأشراط الساعة)، باب (قصة الجساسة).

(٤) رواه أحمد، كتاب (أول مسند الكوفيين)، باب (حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم).

(٥) رواه البخاري، كتاب (المغازي)، باب (فضل من شهد بدرًا). تعلت من نفسها: انتهت منه وطهرت.

أ- أسماء بنت عميس:

تزوجها جعفر بن أبي طالب، ولَمَّا استشهد تزوجها أبو بكر، ولَمَّا مات تزوجها علي ﷺ وكانت في بيت علي وعندها ثلاثة أولاد لجعفر، وولد لأبي بكر، ثم ولدين لعلي نفسه.

ب- حفصة بنت عمر بن الخطاب:

مات عنها خنيس بن حذافة السهمي، فعرضها أبوها على عثمان وأبي بكر الذين كانا يعلمان أن رسول الله قد ذكرها فلم يَخْطِبَا على خطبة النبي ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ.

ج- فاطمة بنت قيس:

طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص ثلاثًا، فتقدم لخطبتها نفر من الصحابة، وزوجها النبي ﷺ أسامة بن زيد.

د- سبيعة الأسلمية:

ما إنْ طهرت من نفاسها بعد موت زوجها حتى تقدم مَنْ يخطبها.

هـ- عاتكة:

تزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر، ثم زيد بن الخطاب، ثم عمر بن الخطاب، ثم عبد الله بن الزبير، ثم الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

تذكـــروا:

- اعتنى الإسلام اعتناءً خاصا بتكوين الأسرة، حيث ذُكرت معظم أحكامها في القرآن الكريم، وذلك عكس أحكام العبادة التي ذكرت إجمالا.
- كانت كل الظواهر في عصر النبي القدوة تشير إلى الاهتمام بالزواج والحث عليه والإسراع فيه، وذلك على مستوى الأفراد والعائلات والمجتمع وحتى الحكومة؛ فنجد:

١- الرسول ﷺ يسعى في تزويج البنين والبنات وكذلك الصحابة.

٢- ويسعون في تزويج الأرامل.

٣- ونجد الدولة المسلمة -متمثلة في النبي ﷺ - تعين على الزواج من بيت المال.

٤- ونجد الشريعة تيسر الزواج، وتبيح التعريض بالخِطْبة وفترة العِدَّة.

٥- وتيسر الشريعة الزواج فور انتهاء عدة الطلاق أو الوفاة، فنجد أن المطلقة والأرملة يتقدم إليها الكثير من الخطاب.

الباب الأول

من فقه الاختيار

الفصل الأول

حسن الاختيار بداية الاستقرار

من الأسس التي وضعها الإسلام لبناء أسرة قوية متماسكة أن يحسن كلٌّ من طرفي الزواج اختيار شريك حياته، «فالزواج ليس فقط قضية شخصية من وجهة نظر الإسلام؛ إنما هو قضية اجتماعية كبرى.

فما ينشأ من سوء الاختيار من الشقاق بين الزوجين وانشطار الأسرة وتفككها لا تعود آثاره على الزوجين فقط؛ وإنما يتعداها ويمتد إلى سائر المجتمع. وما ينتج عن هذا الفراق من أمراض اجتماعية إنما تعود آثارها على المجتمع؛ لأن المجتمع ما هو إلا مجموعة أُسَر».(١)

ضرورة حسن الاختيار:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ».(٢)

وجاء في شرح هذا الحديث: «أي لا تضعوا نطفكم إلا في أصل طاهر.. وأبعدوها عن الخبث والفجور. وبتعبير آخر: تخيروا لأولادكم أمهات صالحات بأن تتزوجوا نساء صالحات يصرن أمهات أولادكم».(٣)

ضوابط الاختيار الحسن:

وتتلخص المعايير التي على أساسها يكون حسن الاختيار في نصيحة النبي ﷺ للشباب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».(٤)

ونصيحة النبي ﷺ لأولياء الفتاة، وبالتالي لها نفسها: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ

---

(١) (تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الأسرة)، سمية محمد علي، ص (١١٧).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء). وقال الألباني في صحيح الجامع: «صحيح».

(٣) (فيض القدير شرح الجامع الصغير)، العلامة المناوي، (٣/ ٢٣٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين).

مَنْ ترضونَ دينَهُ وخُلُقَهُ فزوِّجوهُ، إلاّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ».[(١)]

والناظر إلى الحديثين يجد أن هناك عدة معايير للاختيار يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين:

١- معيار الدين.   ٢- معيار القبول.

ويمكن أن نلخصها في المخطط التالي:

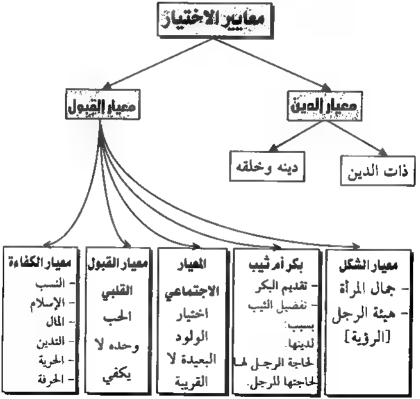

---

(١) رواه الترمذي، كتاب(النكاح عن رسول الله)، باب (ما جاء إذا جاءك مَنْ ترضون دينه فزوجوه).

أولاً: معيار الدين.

ولقد لاحظنا أن صفة الدين قد تكررت في الحديثين؛ حيث إنها أساس في عملية الاختيار لكلا الطرفين؛ ولذلك فهي أهم المعايير في مقابل أي معيار آخر؛ وذلك لَمّا ورد حولها من توجيه وندب، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

يقول ابن كثير: «الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء».(١)

أما ذات الدين فقد قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

«فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفاتها الملازمة لها -بحكم إيمانها وصلاحها- أن تكون قانتة مطيعة، والقُنُوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاضلة. ومن ثم قال: قانتات، ولم يقل طائعات؛ لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رخيَّة نديَّة.. وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة في المحضن الذي يرعى الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته!.

(١) «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير (٣/ ٢٨٩).

ومن طبيعة المؤمنة الصالحة ومن صفاتها الملازمة لها -بحكم إيمانها وصلاحها كذلك -أن تكون حافظة لحرمة الميثاق الغليظ بينها وبين زوجها في غيبته، وبالأولى في حضوره - فلا تبيح مِنْ نفسها ما لا يباح إلا له هو من نظرة أو نبرة؛ فما بالك العِرض والحرمة- بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة». (١)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ». (٢)

وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». (٣)

وفي هذا الحديث الأخير دلالة على أن صاحب الدين اللائق به أن يبحث عن مثيلته. وقوله: تَرِبَتْ يداك؛ أي: لصقت بالتراب، وهي كناية عن الفقر؛ وهو خبر بمعنى الدعاء، لكن لا يراد به حقيقته هنا، وإنما يراد به الحث على طلب ذات الدين. (٤) فكأن النبي ﷺ يبين أن مَنْ لَمْ يُقَدِّم ذات الدين على غيرها كأنه لم يملأ يده إلا بالتراب.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ،

---

(١) (في ظلال القرآن)، سيد قطب، (٢/ ٦٥٢).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء).

(٣) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين).

(٤) انظر: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٩/ ١٣٥، ١٣٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م). وانظر (نيل الأوطار) للشوكاني (٦/ ١٠٦).

وليس من متاع الدُّنيا شيءٌ أفضل من المرأة الصَّالحة».(١)

فهي خير ما يُؤتاه المسلم بعد تقوى الله ﷻ:

فعن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرَّته، وإن أقسم عليها أبرَّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله».(٢)

وهي عون على أمور الدنيا:

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ قَالُوا: فَأَيُّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟! قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ، فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ».(٣)

دينه وخلقه:

أما بالنسبة للرجل فقد بيَّن الرسول ﷺ أن الدين هو جِمَاع صفات الرجل المقبول كزوج، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».(٤)

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (أفضل النساء).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء من النساء).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (أفضل النساء). وقال الألباني في صحيح الجامع: «صحيح».

(٤) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه).

والفتنة التي أشار إليها النبي ﷺ هي فتنة التربية وفتنة الطهارة في المجتمع؛ فإن الرجل قائد البيت، فإذا افتقد القائد صفة التدين -وهي الضابط الأساسي للتصرف السليم عند الرجال- فما حال هذه الأسرة؟ بل وما حال المجتمع الذي تتكون منه تلك الأسر؟

وأمانته:

والصفة الأخرى التي أضافها الحديث إلى الدين عند اختيار الرجل هي: الْخُلُق، وفي رواية: الأمانة. والأمانة هي الصفة التي أهَّلت سيدنا موسى لأن يقبله شيخ مَدْين زوجًا لابنته عندما ذكرت له قوته وأمانته ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وهذه الإضافة التي ذكرتها الآية تعطي مقياسًا جيدًا للحد الأدنى من الدين، فإن الدين المقصود ليس مجرد العبادات الظاهرة؛ وإنما الترجمة العملية لتلك العبادات في أخلاق حميدة، على رأسها الأمانة، ثم التواضع ولين الجانب والتغافل عن الصغائر وكظم الغيظ وخدمة الآخرين.

عن عبد الله العمري قال: قال رجل لعمر: إن فلانًا رجلُ صدق. فقال له: هل سافرت معه؟ قال: لا. قال: فهل كانت بينك وبينه معاملة؟ قال: لا. قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال: لا. فقال له عمر: فأنت لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.

خلل الاختيار:

ويبدو الخلل عند الاختيار عند تقديم أي صفة أخرى غير التدين والخلق الناتج عنه..

يقول تعالى: ﴿وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

فتشير الآية أنه قد يمنع الفقر الناسَ من قبول أصحاب الدين، ولكن الله-سبحانه وتعالى- يعد مَنْ يختار على أساس الصلاح بالغنى والتوسعة: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِه وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

ولذلك، فإن الرسول ﷺ يحذر من هذا الموقف عند اختيار الرجل والمرأة...

يقول ﷺ: «لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ؛ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ، وَلا تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ. وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ».(١) وإن كان هذا الحديث ضعيفاً إلا أن تجربة الحياة أثبتته في كثير من الأحوال .

وفي اختيار الرجل يبدو أيضًا ذلك الخلل الذي يعتمد على المظاهر..

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: مَرَّ على رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هذَا الرَّجُلِ؟»، قَالُوا: نَقُولُ: هذَا مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ، هذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُخَطَّبَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (تزويج ذات الدين)، وقال الألباني: ضعيف جدًا. انظر حديث رقم (٦٢١٦) في (ضعيف الجامع). يرديهن: أي يوقعهن في الهلاك والعجب والتكبر. خرماء: أي مقطوعة الأنف مشقوقة الأذن.

يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هذَا؟»، قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ: هذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ هذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ لَمْ يُنْكَحْ، وَإِنْ شَفَعَ لاَ يُشَفَّعْ، وَإِنْ قَالَ لاَ يُسْمَعْ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَهذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا».(١)

والذين يقبلون أيَّ طارق ما دامت إمكانياته المادية تصلح من وجهة نظرهم، فَسَيُرْدِيهم سوء اختيارهم إلى سوء الحال وسوء المآل.

تعالوا لنرى مستقبل هذا البيت باستقراء تصرفات ذلك الزوج:

أ - في مرحلة فورة الشباب يكون للزوج -إذا كان على غير خلق- ثورات تفقد الزوجة الاحترام الذي هو أساس البيت المسلم، وسقطات تترك جروحًا عميقة الأثر في نفس الزوجة، وقد تظل تنزف لسنوات.

ب- في مرحلة انزواء الشباب يدب السأم والملل في نفسية الزوج، وقد يترك الزوجة أو يهجرها أو يطردها، وينسى الفضل بينه وبينها، ولا عجب؛ فما الذي يمكن أن يردعه؟ لا وجود للضمير الديني اليقظ، ولا خشية من الله، فيتهاوى البيت.

ج- ينتج هذا الزواج ذريةً تخرج من ظَهْر رجل ضعيف الصلة بالله، فيكونون صورة من ضعفه واستهتاره، وينتج عن ذلك مجتمع متسيب فاسد.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (الزهد)، باب (فضل الفقراء).

أخطار عدم اختيار المتدين ذي الأخلاق:

١- العنف الزوجي بكافة أشكاله.

٢- الظلم بصوره المتنوعة؛ فالزوج المتدين إذا أحب زوجته أكرمها وإذا أبغضها لم يظلمها.

٣- الطلاق لأبسط الأسباب، أو اتباعًا لشهوة طارئة.

٤- الخيانة الزوجية، وما يمكن أن ينتج عنها من آثار صحية مؤذية للمرأة أو آثار صحية ضارة وأمراض جنسية خطيرة.

٥- تعاطي الزوج للخمر والمخدرات، وما ينتج عنه من معاناة المتعاطين.

٦- الممارسات الجنسية الشاذة التي تكون فيها المتعة لطرف واحد، وتكون المرأة فيها موضع استعمال واستغلال دون اعتبار لميولها الفطرية ومواطن الاستمتاع الطبيعية لديها.

٧- إهمال الزوج لأسرته، وعدم تحمله لمسئولياته المالية والعاطفية أثناء الزواج أو بعد الطلاق، مما يجعل الزوجة تتحمل مسئولية الأطفال ماليا وتربويًّا وعاطفيًّا وحدها.

٨- الهجر وسوء المعاملة إذا تزوج بثانية، أو الظلم عند الطلاق؛ حيث لدى الزوج المتدين ما يدفعه إلى الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان.

٩- أن التدين يحمي الزوجة من أن تكون ضحية زوج ممن لا ضمير لهم من أصحاب الشخصيات الفاسدة المَرِيدة، التي تمردت على

قيم المجتمع ودينه وأخلاقه، وهي الشخصية المسماة في علم النفس بالشخصية (السيكوباتية) [١] التي لا تتورع عن شيء في سبيل أهوائها. فالتدين الصادق لا يجتمع مع خصال هذه الشخصية في نفس واحدة؛ لأنه يوجد في الإنسان ضميرًا حقيقيًا داخليًا وحياءً يمنعه من العدوان على غيره.

١٠- التدين يلطف من عيوب الشخصية الأخرى التي تشمل طباعًا وخصالا مزعجة لمن يعاشر صاحبها؛ حيث إن التدين يعلم ضبط النفس ويدرب على مكارم الأخلاق التي تخفف من غلو هذه الشخصيات المريضة، وتلطف من شدة الطباع المزعجة فيها.

ولذلك، فإن الحسن البصري لَمَّا سأله رجل عمن يزوج ابنته قال: «زوِّجها لِمَنْ يتقي الله؛ فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها». [٢]

والخُلُق ليس علامة من علامات التدين بالنسبة للرجل فقط؛ وإنما هو بالنسبة للمرأة أيضًا، فليس الاختيار على أساس الدين مجرد اختيار ظاهري؛ وإنما هو اختيار واختبار للخلق، وسوف نتحدث عنه عند الكلام عن مهارات الخطبة.

(١) انظر صفات هذه الشخصية في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٢) رسائل إلى ابنتي (شروط العريس والعروس)، كريمان حمزة، مجلة الأمة، قطر، (السنة الأولى - العدد السادس - جمادى الآخرة ١٤٠١هـ إبريل ١٩٨١م، ص٤٧).

على أساس الدين:

والاختيار على أساس الدين يجب أن نضعه في الذروة من حياتنا، وهذه الصفة (الدين) تحدد المرجع الأساسي الذي إليه يعود الطرفان عند الاختلاف؛ وهو القرآن والسنة، ويحدد الأسلوب الأمثل عند التعامل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

بل ويحدد سير الحياة بعد ذلك في علاقاتهما المتعددة، بجانب ما للاختيار على أساس الدين من استمطار للرحمات على هذا البيت وإسكان للبركة في جنباته، وأن تعمه السكينة.

والاختيار على أساس الدين أيضًا يحدد لهذا البيت المسلم مهماته الأساسية ويذكره بها؛ حيث تكون أهم وظائفه فعل الخير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

والاختيار على أساس الدين يضع قضاياه في قمة أولويات البيت واهتماماته؛ ولذلك تعرض السُّنَّة صورة جميلة عطرة من صور هذه الأسر المسلمة..

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ.

وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ».(١)

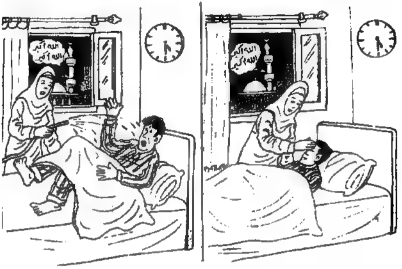

الآثار الإيجابية للتدين على الحياة الزوجية:

يمنح التدين الحياة الزوجية والعائلية صفات مهمة جدًا تغدو معها تلك الحياة سعيدة وممتعة، ومن ذلك:

١- الاستقرار: حيث إن التدين يعطي الزوجين أرضية مشتركة تقوم عليها حياتهما، وبذلك ينطلقان من (الاتفاق والفاهم) وهو أساس الحياة الزوجية السعيدة، ويجعل كلا من الزوجين أكثر فهمًا وتقبلا للآخر.

---

(١) رواه النسائي، كتاب (قيام الليل وتطوع النهار)، باب (الترغيب في قيام الليل).

٢- الهدف: فالدين يجعل من الحياة الزوجية رسالة رائعة؛ يجعل من المتع الحسية والممارسات اليومية أعمالاً هادفة ذات جدوى عظيمة، وفائدة -عاجلة وآجلة- لها مفهوم العبادة. وبذلك يقضي الدين على التبرم بالحياة والضيق من مسئولياتها بما يمنحه للزوجين من الثقة بالمستقبل، والصبر على الشدائد، والتمتع بالحلال الطيب، وطلب الثواب في تربية الأبناء وإعمار البيوت وإنشاء الأسرة التقية السعيدة.

٣- المسئولية والتقدير: فقد سمى القرآن الكريم عقدَ الزواج ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وفي ذلك ما فيه من التقدير لتلك العلاقة وبيان أهميتها وعظم المسئولية فيها، وبذلك يعين الزوجان بعضهما على القيام برسالة كريمة لها أعباؤها وأهدافها ومسئولياتها ولذائذها وصعوباتها.

وفي كل تلك المجالات هما متفقان على أداء الحقوق والأمانات.. وهذا هو أحد المضامين الدينية الإسلامية للحب الزوجي الذي يجعل اتفاقهما على هدف نبيل ملازمًا للحياة المشتركة.

٤- **آثار التدين على الزوجين:** للتدين آثار مهمة على كل من الزوجين، منها: فهم الحياة بشكل عام والحياة الزوجية بشكل خاص، وما تتضمنه من مسئوليات وحقوق وواجبات.. «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».[١]

٥- **القيام بالمهام برضا وقبول:** فالرجل يقوم بمهامه في الأسرة، ويهتم بزوجته وأولاده. والأم ترضع أطفالها وتسهر على تربيتهم وتهتم بزوجها وأبنائها، وكل ذلك يتم عن رضا وتقبل نفسي؛ لأنه واجب ديني فيه مصلحتهما في الدنيا والآخرة.

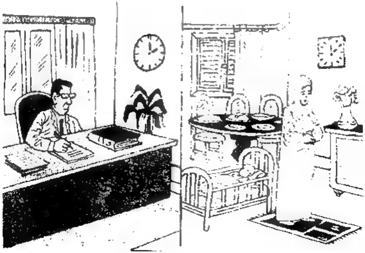

(١) رواه البخاري، كتاب (الجمعة)، باب (الجمعة في القرى والمدن).

٦- الحد من النزاعات والخلافات: فالتدين يهذب الأخلاق ويقضي على النزعات الفاسدة؛ كالغيرة العمياء والتقليد السخيف والبخل والشكوك الواهمة، والتعصب للأهل أو غيرهم. وهكذا فإن أسباب النزاعات تضمحل، وإن وجدت خلافات فإنه يمكن حلها على ضوء تحكيم الشريعة ونظامها.

٧- التنظيم: الدين يعطي القوامة للرجال في الأسرة؛ فالأولاد ينسبون إليه، ويجب عليه الإنفاق على زوجته وأولاده. وليست القوامة تسلطًا أو تجبرًا؛ بل هي تنظيم لشئون الأسرة، وبالمقابل فإن لكل من الزوجة والأبناء حقوقًا وواجبات واضحة.

٨- الحماية: إن الزوج المتدين والزوجة المتدينة لا يؤذي أحدهما الآخر مهما اختلف معه أو تباينت الآراء. ولا يرتكبان الموبقات أو يشربان الخمر أو المخدرات، وبذلك فهما في حماية من الأمراض الجنسية القذرة ومن الممارسات الشائعة المحرمة، وهذه الحماية تمنحهما الثقة والحب الناضج.

ثانيًا: معايير القبول:

وبعد أن أصبح الدين والخلق هما حاجز الفرز الأول بالنسبة للرجل والمرأة.. وبعد أن أصبح المجال مفتوحًا للاختيار بعد هذا المعيار، فإن هناك مجموعة من المعايير تضبط هذا المجال؛ منها:

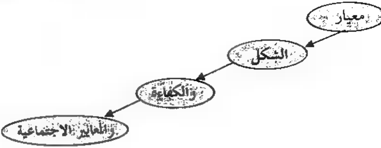

وأهم هذه المعايير التي تحدد الكثير في عملية اتخاذ القرار، ما يلي:

١- معيار الشكل:

قال النبي ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».[١] ومنها جمالها، والجمال بالنسبة للمرأة مطلوب؛ بل وإشارة الحديث إليه تدل على أهميته الفطرية عند الرجال.

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ».(١)

فالجمال مرغوب فيه ومطلوب شرعًا؛ لأن جمال الزوجة أدعى إلى اكتفاء زوجها بها، ودوام عشرته الحسنة لها، وأبعد له عن التطلع لغيرها.. ولا بد من التنبيه أن التدين يبقى هو الأثقل والأرجح في ميزان الاختيار في الإسلام من مجرد الجمال بلا تدين.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ؛ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ. وَلا تَزَوَّجُوهُنَّ لأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ. وَلأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ».(٢)

يقول الإمام الغزالي: «وما نقلناه من الحث على الدين، وأن المرأة تنكح لدينها ليس زجرًا عن مراعاة الجمال؛ بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين؛ فإن الجمال وحده - في غالب الأمر- يرغب في النكاح ويهون أمر الدين».(٣) ولذلك فإن النبي ﷺ يقول: «فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ».

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قوله ﷺ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ».(٤)

---

(١) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (أفضل النساء).
(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (تزويج ذات الدين).
(٣) (إحياء علوم الدين)، أبو حامد الغزالي، (٢/ ٣٥).
(٤) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (تزويج خير النساء).

نسأل: إذا كانت المرأة تسره إذا نظر وهي غير ذات دين، فكيف ستطيعه إذا أمر؟! وكيف ستحفظه إذا غاب؟!

والله تعالى يقول: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

وأمر الشكل أيضًا مطلوب عند اختيار الزوجة لزوجها لدوام العشرة «فامرأة ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ -وَكَانَ رَجُلا دَمِيمًا- قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْلا مَخَافَةُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ لَبَصَقْتُ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ، قَالَ: فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.[1]

الرؤية للاختيار:

ولذلك ندب الإسلام لِمَنْ يريد أن يخطب امرأة أن ينظر إليها وأن تنظر إليه.. فعَنِ الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».[2]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي! فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (الطلاق)، باب (المختلعة تأخذ ما أعطاها)، وانظر (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، (١/ ٢٨١، ٢٨٢).

(٢) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (النظر إلى وجه المخطوبة).

إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ.(١)

قال الإمام أحمد: «إذا خطب رجلٌ امرأةً سأل عن جمالها أولا، فإن حُمد سأل عن دينها، فإن حُمد تزوج، وإن لم يُحمد يكون ردًّا لأجل الدين. ولا يسأل أولا عن دينها، فإن حُمد سأل عن الجمال، وإن لم يحمد ردُّها للجمال لا للدين».(٢)

ولم يخالف أحد من الفقهاء في استحباب النظر إلى المرأة لخطبتها، ولكن اختلفوا في كيفية هذا النظر ومداه؛ فمنهم من أجاز النظر إلى الوجه والكفين (وهو الأرجح)، ومنهم من ذهب في الرؤية إلى أبعد من ذلك، ومنهم من أوصى بأن يأمر الرجل امرأة أن تنظر إلى جميع جسمها وتخبره.(٣)

٢- بكر أم ثيِّب:

قد يكون التوجيه النبوي أَمْيَل إلى تفضيل البكر التي لم تتزوج من قبل، ومن ذلك ما رواه البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: تَزَوَّجْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَزَوَّجْتَ؟» فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا، فَقَالَ: «مَا لَكَ وَلِلْعَذَارَى وَلِعَابِهَا». فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، فَقَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ

(١) رواه البخاري، كتاب (فضل القرآن)، باب (القراءة على ظهر القلب).
(٢) (المفصَّل في أحكام المرأة والبيت المسلم)، لعبد الكريم زيدان (٦/ ٤٧).
(٣) انظر تفصيل ذلك في (الأسرة: التكوين، الحقوق والواجبات) دراسة مقارنة في الشريعة والقانون، أحمد حمد ص (٢٩، ٣٠).

اللَّهِ ﷺ: «هَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ».(١)

بل وينصح ﷺ كل من يَجِدُّ في البحث عن زوجة فيقول: «عَلَيْكُمْ بالأَبْكَارِ؛ فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا، وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ».(٢)

فـ«أعذب أفواها» كناية عن حسن كلامهن وقلة بذاءتهن لبقاء حيائهن. و«أنتق أرحامًا»؛ أي أكثر أولادًا. «وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ» أي أرضى باليسير مِمَّا يقدمه لها زوجها من مال وغيره.(٣)

مميزات الثيب:

وعلى هذا يفضل لِمَن لم يتزوج من قبل أن يتزوج البكر فهي غافلة مثله. ورغم كل هذا فإن هذا التفضيل قد يتأخر في حق البكر، وتكون الثيب التي تزوجت من قبل وفارقها زوجها لِمَوْت أو طلاق هي الأفضل؛ وذلك لأسباب كثيرة، منها:

أ- كونها ذات دين:

وذلك عندما ما يكون هناك تفاضل، فإن الثيب المتدينة خير من البكر غير المتدينة.

ب- الحاجة إليها:

وذلك كما ورد في قصة زواج جابر بن عبد الله، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ:

---

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (تزويج الثيبات). والجارية: هي البكر، كما ورد في رواية أخرى للحديث.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (تزويج الأبكار).

(٣) (المفصل)، عبد الكريم زيدان، (٥/ ٤٨).

هَلَكَ أَبِي، وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، قُلْتُ: ثَيِّبًا. قَالَ: «هَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟» قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي، فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ. قَالَ: «فَبَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ».(١)

ومن هنا نرى أن الحاجة إلى امرأة ثيب ذات خبرة وتجربة في الحياة لرعاية أولاد أو أخوات تكون أفضل من بكر لا تدري من أمر الحياة شيئًا.

ج- حاجتها إلى الرجل:

وذلك كأن لا يكون لها مَنْ يكفلها من الرجال أو ذات القرابة من الرجال، فيكون زواجه منها نوعًا من الصَّون والحفظ لها.

٣- معيار الكفاءة:

ويدخل فيه الكفاءة في الدين، والكفاءة في الحسب، والكفاءة في الناحية الاقتصادية، والكفاءة في الناحية العملية. فلا بد أن يكون هناك نوع من التقارب بين الطرفين في هذه المجالات وغيرها بحيث يحدث نوع من الأرضية المشتركة التي تيسر دوام العشرة والسكينة.

والكفاءة لغة: تعني المماثلة والمساواة. والكفء هو النظير والمساوي.

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الدعوات)، باب (الدعاء للمتزوج).

ويقصد بها في اصطلاح الفقهاء: المساواة أو المقاربة بين الزوجين في أمور مخصوصة، بحيث لو اختلت كانت الحياة الزوجية غير مستقرة؛ لِمَا يلحق الزوجة وأولياءها من التعيير والأذى.

ويذكر موضوع الكفاءة في كتب الفقه عند حديثهم عن شروط صحة النكاح؛ حيث إنه عند بعض الفقهاء شرط صحة، وكذلك عند الحديث عن شروط لزوم العقد.[(١)] ومعنى أنها من شروط لزوم العقد أي أنه يكون مُلْزِمًا لجميع أطرافه، لا يحق لأحد متفردًا فسخه. ولذلك قال فقهاء المذهب الحنفي: «إذا زَوَّجَتِ الْمَرْأَةُ البالغة العاقلة نفسها من غير كُفء ومن غير رضا أوليائها كان العقد غير لازم، وكان لأوليائها حق الاعتراض وفسخ العقد؛ بل إن فقهاء الشافعية والحنابلة أعطوا حق فسخ العقد لبعض الأولياء الأقل في الدرجة إذا زوَّجها أحدهم من غير كُفء، حتى وإن كانت هي ووليها راضيين».[(٢)]

وقد خالف بعض الفقهاء هذا الرأي فقالوا: إن الكفاءة ليست شرطًا في الزواج؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقول رَسُول اللَّهِ ﷺ حين خطب فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ. أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى».[(٣)] ولفعل النبي ﷺ والصحابة أيضًا.

---

(١) انظر: (المُفصّل)، عبد الكريم زيدان (٦/ ١٠٤، ١٠٧).
(٢) السابق، (٦/ ١٠٥).
(٣) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند الأنصار)، باب (حديث رجل من أصحاب النبي).

وقد رجح الدكتور (عبد الكريم زيدان) اعتبار الكفاءة في الزواج من شروط لزوم العقد؛ أي يحق للولي فسخ العقد إذا تزوجت المرأة غير كفء لها.. ورد أدلة الذين قالوا بعدم الاعتبار، وقال: إنها تصلح أدلة على أن الكفاءة ليست شرط صحته[1].. نعم فالزواج صحيح والعقد لا يلزم، فيمكن فسخه.

جوانب الكفاءة

وقد تحدث الفقهاء عن أوصاف تمثل أهم ما يوضع في الاعتبار في موضوع الكفاءة، وهي:

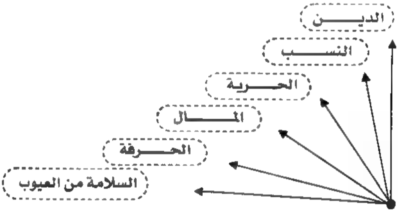

أ- الدين: وهو الإسلام. ولا ننسى أن الإسلام حرّم على المسلم أن يتزوج مشركة أو من أي ملة يوصف أهلها بالإلحاد - كالشيوعيين مثلا- وأحل له المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وحرم كذلك على المسلمة أن تتزوج من غير مسلم مهما كانت ديانته.

---

(١) انظر: (المفصل)، عبد الكريم زيدان (٦ / ١٠٦).

ب- النسب: وهو معتبر في كثير من البيئات، وإن كان العلم يرفع صاحبه. وقد تقرر في المذهب الحنفي والجعفري أن العَالِم الأعجمي كُفء للعربية، بل للعلوية والفاطمية؛ لأن شرف العلم فوق النسب.[١]

ج- الحرية: والكلام حولها لم تعد له فائدة الآن؛ لأنه لم يعد هناك رق بفضل ما وضعه الإسلام من وسائل لتجفيف منابعه وإلغائه.

د- الحرفة: وهي العمل الذي يزاوله الإنسان ليكسب منه رزقه، من صناعة وتجارة وزراعة ووظيفة، ومعنى اعتبار الحرفة في الكفاءة أن تكون حرفة الزوج أو أهله مقاربة لحرفة ولي الزوجة، وليس بلازم أن يكونا متحدين، فإذا كانت لا تقاربها بأن كانت أقل منها لا يكون كُفئًا لها؛ لأن الزوجة وأهلها يعيرون بذلك.

هـ- المال: يقصد به مدى قدرة الرجل على تحمل تكاليف الزواج، بدءًا من المهر وانتهاء بالإنفاق على بيته بعد الزواج.

و- التدين: يقصد به التزام الزوجين بطاعة الله، وهل هما من أهل الصلاح والتقوى أم لا؟

ز- السلامة من العيوب: وهي الأمراض التي أخفاها الزوج عن

(١) «المفصَّل في أحكام المرأة والبيت المسلم»، لعبد الكريم زيدان (٦ / ٣٣٤).

زوجته أو العكس، وتكون مُعْدِيَة مثلا، أو تستحيل العشرة بها، مثل: الجُذَام، والبَرَص، والجنون، والإيدز. ووجودها يعطي حق الخيار للزوجة في فسخ العقد.. وغير هذه الأمراض لا تعتبر من الكفاءة.[١]

واختلف الأئمة في اعتماد تلك الأمور واعتبارها من الكفاءة، والأمر أولا وأخيرًا مرتبط بثقافة المجتمع التي تشكل سلوك أفراده، وكلما اقتربت ثقافة المجتمع من دين الله كان الأمر هينًا، وكلما بعدت تلك الثقافة عنه صعبت الأمور وتعسرت.

خذ مثلا مجتمع الصحابة وما كانت عليه فترة النبوة؛ فمن الثابت أن القرآن وأوامر الرسول ﷺ تقدم التقي ذا الدين على غيره، وتطبيقًا لذلك فقد أمر الرسول ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند وكان حجّامًا، وزوج أبو حذيفة بنت أخيه الوليد بن عتبة من سالم، وهو مولى لامرأة من الأنصار، وكان قد تبناه ونسبه إليه. وكذلك أمر رسول الله ﷺ قومًا من الأنصار أن يزوجوا بلالا الحبشي عند امتناعهم عن تزويجه؛ بل وزوج ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثة.

وهكذا؛ لأن كل ثقافة تمثل معيارًا للناس وضغطًا من الخارج عليهم، فإن كانت ثقافة المجتمع إسلامية المنشأ والمآل كانت معيارًا للناس في التعامل، والخارج على هذا التعامل يعد غريبًا وسط الناس، وفعله مستهجن منهم. والعكس؛ إذا استشرت ثقافة أخرى وتوغلت في حياة

---

(١) «المغني»، في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ابن قدامة المقدسي (٦/ ٢٣٦).

الناس يشعر الخارج عليها بحرج، ويشعر بضغط من نظرات الناس له ومواقفهم من فعله.

ولكي يعتدل الأمر لا بد من كسر تلك الحواجز وتحطيم الأغلال التي يضعها الناس حول حياتهم، وهذا لا يتم إلا باقتناع بعض الناس بتلك التعاليم وإنفاذها وتحكيمها في حياتهم، ثم يستشري هذا الأمر ويجد الناس القدوة أمامهم، فيغيرون أو على الأقل يتشجعون على ترك تلك التقاليد أو تخفيف حدتها؛ لأن الأمر وصل في بعض البلدان العربية إلى خلل كبير.

والناس طاقات، ولا نريد إعنات الناس؛ لأنهم في بعض الأحيان يكون لهم عذرهم بسبب تفلت أخلاق الناس، وشيوع الخداع والنفاق والكذب والغش.. إلى آخر تلك الصفات التي تزرع الشك وتخيف الناس، فيتعاملون مع الزواج وأموره كأنها سرداب مظلم كل منهم يريد أن يخرج منه سالماً ولذلك يغالي في الضمانات.

وأكرر ثانية: إن الأمر يدور بين معيارين: الدين والقبول بمعناه العام، ومعايير الكفاءة التي يختار وفقها الناس لا حرج من اعتبار بعضها، لكن المزعج في الأمر هو الغلو والشطط حتى تصل الأمور إلى درجة الاستفزاز، وتصرف الناس وفق الأعراف وكأنها دين يوازي أو يلغي دين الله.

وقفة هامة عند الاختيار:

وهناك بعض الأمور يحسن مراعاتها عند الاختيار، ليست من باب اصطلاح الكفاءة، بل من باب التوافق والعمل على المحافظة على استقرار الأسر، ونضرب بعض الأمثلة:

أ- الشهادة العلمية:

فالتقارب العلمي بين الزوجين مطلوب لو طلبته الزوجة وأهلها؛ حتى تتحقق قوامة الرجل في بيته؛ لأن العلم يوسع المدارك، ويعطي آفاقًا جديدة للفرد.. وكثيرة هي آثاره الطيبة، فيصعب أو قد يستحيل أن تتزوج امرأة تحمل درجة علمية من شخص لا علاقة له بالعلم بداية أو يكون أقل منها بمستوى كبير، أو لا تشعر معه بالتوافق، فهذا غير مقبول.

ب- المستوى المادي:

وبالنسبة للمستوى المادي لا ينظر الناس أحيانًا لإمكانيات الزوج وقدرته على الإنفاق على الزوجة فقط، بل ينظرون إلى تناسب غنى الأسرتين أنهم من أصحاب الملايين أو غيرها من المسميات المالية الأخرى وهو في درجة أقل منهم؛ كأن يكون من أصحاب عشرات الآلاف مثلا، فهذه مغالاة وشطط.

فالمال مطلوب إن كانت الزوجة تعودت على معيشة معينة في بيت

أهلها؛ حفاظًا على استقرار الأسرة واستمرارها، لكن أن يصل الأمر للنظر إلى الزوج وقبوله وفق شريحته المالية حتى وإن كان موسرًا يستطيع الإنفاق على بيته، فهذا ما يصطدم بمقررات الشرع؛ يقول تعالى:

﴿وأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

فإذا حدث عدم قبول من الزوجة لفقر الزوج بدرجة تشكل خطورة على الاستقرار الأسري مستقبلا فلهم ما أرادوا، وإن وجدوا بالخاطب كل ما يريدونه من صفات لكنه فقير، وتستطيع زوجته بعملها أن تساعده حتى يقف على قدميه فهذا شأنهم، ولكل وجهة هو موليها.

ج- التقارب في السن:

ونشير أيضًا إلى التقارب في السن عند الاختيار؛ فلا يستحب أن يتزوج الكبير الصغيرة أو العكس. أما زواج النبي ﷺ من خديجة وهي تكبره، ومن عائشة وهو يكبرها، فهذا يدل على الإباحة، ولكن ليس كل الرجال مثل رسول الله ﷺ، ولا كل النساء مثل خديجة أو عائشة، ولم تكن هذه هي القاعدة في مرحلة القدوة.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فَاطِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا صَغِيرَةٌ»، فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ.[1] فعلل رفضه بفارق السن الكبير، ورضي بزواجها من علي لتقارب السن.

٤- المعيار الاجتماعي:

وقد يُضَمُّ هذا الجانب إلى موضوع الكفاءة، ولكن سبب إفراده هنا لأهميته وسعته. والبعد الاجتماعي يتضح جدًا في بعض وصايا الإسلام عند الاختيار، وذلك مثل:

أ- اختيار الولود: حيث الغرض من الزواج إيجاد النسل، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ، إِلا أَنَّهَا لا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَنَهَاهُ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ».[2]

ولا تعارض بين نكاح البكر والولود؛ حيث يعرف ذلك من عائلتها، وقد أشار إلى ذلك ابن قدامة حيث قال: «ويستحب أن تكون من نساء يعرفن بكثرة الولادة».[3]

ب- اختيار البعيدة لا القريبة:

جاء في (مغني المحتاج) في فقه الشافعية: «إن الشافعي نص على أن

---

(١) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (تزويج المرأة مثلها في السن).
(٢) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (كراهية تزويج العقيم).
(٣) (المغني)، ابن قدامة المقدسي (٦/ ٥٦٦).

يستحب للرجل أن لا يتزوج من عشيرته، وعلة ذلك أن مقاصد النكاح اتصال القبائل لأجل التعاضد والمعاونة باجتماع الكلمة».[(١)]

ويعلل ابن قدامة أيضًا ذلك بقوله: «ولأنه لا تؤمن العداوة في النكاح وإفضاؤه إلى الطلاق؛ حيث يفضي إلى قطيعة الرحم المأمور بصلتها».[(٢)]

وقد أثبت الطب الحديث خطر الزواج بين الأقارب في توريث كثير من الأمراض الوراثية، وخاصة أمراض المناعة، وانتقال الصفات الوراثية السيئة إلى الأبناء؛ ولذلك قال عمر لجماعة لاحظ ضعف ذريتهم: «يا بني السائب، قد أضويتم (أي نحفتم) وضعفتم، فتنكحوا في الغرائب».

ومع تقدم العلم وسهولة اكتشاف الأمراض يحسن بمن يتزوج من قريبة له أن يبادر قبل الزواج إلى الكشف الطبي الذي يتبين منه عدم وجود الأمراض الوراثية التي قد تنتج أولادًا معاقين جسديًا أو عقليًا، وهذا قد يدخل في باب (دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة)، وقوله ﷺ: «لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ».[(٣)]

٥- معيار القبول القلبي:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ فَتَاةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ وَأَنَا كَارِهَةٌ، قَالَتْ: اجْلِسِي حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهَا فَدَعَاهُ، فَجَعَلَ الأَمْرَ إِلَيْهَا،

---

(١) (مغني المحتاج)، محمد الخطيب الشربيني، (٣/ ١٢٧).

(٢) (المغني)، (٧ / ٨٣).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب (الأحكام)، باب (من بنى في حقه ما يضر بجاره).

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَلِلنِّسَاءِ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ.[١]

فلقد أقر النبي ﷺ كره الفتاة للرجل وجعل الأمر إليها، وهو ما يثبت أهمية القبول القلبي بالنسبة للفتاة، والعكس.

قضية الحب

ونتبه هنا إلى ترويج قضية الحب قبل الزواج في كثير من المجتمعات، وأن المعيار الأساسي لاختيار الفتى لفتاته وبالعكس هو الحب.. وإن كان للحب نصيب في توجيه النبي ﷺ حين قال ف يما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ»[٢] إلا أن الْحُبَّ ليس هو المعيار الوحيد للاختيار، فلا بد من تقديم كل ما أسبقنا من معايير لنقيس عليها مدى قدرة هذا الحب على الصمود أمام واقع الحياة.[٣]

وقضية الحب بالنسبة للفتاة قد تسلب حقوق بقية أطراف يجب أن يتوافق رضاهم بالْمُتَقَدِّم، وهم: الفتاة نفسها، ووليها، وأمها. فقد أمر الإسلام أن يؤخذ رأي الفتاة، ولا تجبر على الزواج بمن تكره، ولو كانت بكرًا، فالبكر تستأذن وإذنها صمتها وسكوتها، ما دام ذلك دلالة على

---

(١) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (البكر يزوجها أبوها وهي كارهة).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (ما جاء في فضل النكاح).

(٣) (فتاوى معاصرة)، يوسف القرضاوي، ج ١ ص (٤٥٦ – ٤٥٧)، دار القلم، الكويت. والجزء الثاني، ص (٤٥٦، ٤٥٧)، دار الوفاء – مصر.

رضاها. وقد رد النبي ﷺ نكاح تلك الفتاة لَمَّا رفض قلبُها ذلك الزوج. فلا بد أن تستشار الفتاة، وأن ترضى، وأن يُعرَف رأيها صراحة أو دلالة، ولا بد أن يرضى الولي وأن يأذن في الزواج.. عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ».(١)

وليست المرأة الشريفة هي التي تزوج نفسها بدون إذن أهلها، فإن كثيرًا من الشبان يخطفون الفتيات ويضحكون على عقولهن، فلو تُركت الفتاة الغرة لنفسها ولطيبة قلبها ولعقلها الصغير لأمكن أن تقع في شراك هؤلاء المخادعين من ذئاب الأعراض ولصوص الفتيات، لهذا حماها الشرع، وجعل لأبيها أو وليها -أيًا كان- حقًا في تزويجها، ورأيًا في ذلك، واعتبر رضاه كما هو مذهب جمهور الأئمة.

ثم إن النبي ﷺ زاد على ذلك فخاطب الآباء والأولياء فقال فيما روي عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ».(٢) ومعنى آمروا النساء في بناتهن: أي خذوا رأي الأمهات؛ لأن المرأة كأنثى تعرف من شئون النساء

---

(١) رواه الدارمي، كتاب (النكاح)، باب (النكاح بغير ولي).
(٢) رواه أبو داود، كتاب (النكاح)، باب (الاستئمار).

وتهتم بما لا يهتم به الرجال عادة، ثم إنها كأم تعرف من شئون ابنتها ومن خِصَالِهَا ومن رغباتها ما لا يعرفه الأب، فلا بد أن يعرف رأي الأم أيضًا.

فإذا اتفقت هذه الأطراف كلها الأب والأم والفتاة -والزوج بالطبع- فلا بد أن يكون الزواج موفقًا سعيدًا، محققًا لأركان الزوجية التي أرادها القرآن من السكن ومن المودة ومن الرحمة.

وهي آية من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].(١)

الحب أثناء الخطبة

إن فطرةَ الله التي فطر عليها الإنسان ميلُ الرجل إلى المرأة وميلُ المرأة إلى الرجل وسكن كل منهما إلى الآخر. وقد شرع الله لذلك الميل منهجًا قويمًا ليستمر ويبقى؛ وهو الزواج، وسدَّ كل المنافذ عن كل ما سواه.

وقد ذكر الله -تعالى- هذا الميل في الخِطْبة في قوله تعالى: ﴿ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ومن أقوال المفسرين قول ابن عباس: «يقول الرجل: إني لأحب امرأة من أمرها»، ويذكر صفات في هذه المرأة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] قطع الطريق

---

(١) «فتاوى معاصرة»، يوسف القرضاوي، (١/ ٤٥٨، ٤٥٩).

على الحب المبتذل الذي يسوق إلى الحرام.

يقول ابن كثير (عن ابن عباس): «لا تقل إني عاشق، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، ونحوه».[(١)]

زواج الحب

وهذا سؤال عرضته إحدى المجلات وسألت فيه ١٠٠ شاب حول:

هل تفضل الزواج بعد قصة حب، أم تفضل الزواج العادي؟

كانت الإجابة عجيبة جدا؛ ٩٠٪ أو ٨٠٪ من البنات قلن: إنهن يفضلن الزواج التقليدي و١٠٪ من الشباب قالوا: إنهم يفضلون الزواج عن قصة حب!!

ولما سئل المحلل الاجتماعي والنفسي عن هذه الظاهرة قال: إن البنات يملن أكثر إلى الاستقرار، ويملن أكثر إلى عدم المغامرة، ويملن أكثر إلى العفة وحفظ النفس فأمامهن قصص وأمامهن أحداث حدثت كثيرًا لمن حولهن في الزواج عن قصة حب، فهن يملن إلى الزواج التقليدي. أما الشباب فيرغبون في التسلي والمتعة، فالأمر بيد الشاب يترك هذه ويأخذ هذه.

وبعض الناس يجعل المعيار الأساسي للاختيار الحب، فلو سئل: من تختار؟ سيقول: من أحبها.

وهذا الموضوع فيه تطرف؛ فقد رصد في أكثر من بحث حول الزيجات

(١) (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير (١/ ٢٩٤).

التي تمت نتيجة علاقة قبل الزواج (علاقة حب، أو معرفة طويلة أساسها الحب) لوحظ أن معظم هذه الزيجات تبوء بالفشل.

الإسلام والحب

لكن السؤال المهم:

هل الإسلام يمنع
أو يحرم
أو يكره
الحب قبل الزواج؟

أولا: لا بد أن نعرف **ماذا يعني الحب قبل الزواج؟**

إننا عندما نسمع جملة (الحب قبل الزواج) فأول ما يتبادر إلى الأذهان علاقة بين فتى وفتاة لا تخلو بأي حال من الأحوال من محظور أو أمر مخالف للشرع، وهذا معروض يوميا أمامنا في المسلسلات والأفلام. هذه العلاقات الخفية مرفوضة في المجتمع؛ يرفضها الدين أولاً ويرفضها العُرْف ثانيًا، وترفضها التربية القويمة ثالثًا.

هذه العلاقات رغم انتشارها، ورغم أنها يوميًا تُصَبُّ في الأذهان والأفهام والعقول فإنها في النهاية مرفوضة، والدليل على ذلك أنها تكون في الخفاء، وأنها أيضًا غير مباركة في المجتمع. وعندما يعرف الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت (للطرفين) بهذه العلاقة سرعان ما تحدث مشاكل واعتراضات.

ولكن من حيث المبدأ، هل الإسلام يرفض ان يكون هناك ميل قلبي من أحد الطرفين للآخر ينتج عنه طلب الارتباط او الخطوبة؟

نلاحظ أن النص القرآني يميل إلى تأخير قضية الميل القلبي والحب إلى ما بعد التعامل والمعاشرة بالمعروف؛ يقول سبحانه وتعالى:﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[النساء: ١٩].

فقضية الحب كمقياس واحد للخطبة تعتبر قضية من أضعف المقاييس، بل أكثر من ذلك هي قضية ظالمة؛ لأنها تسلب بقية أطراف الموضوع حقوقهم كما بينا من قبل.

وكان العرب في الجاهلية إذا علموا أن رجلا يحب امرأة حرموا عليه الزواج منها. ولكن الإسلام لا يتعنت في قضية الحب؛ فقد ورد عن ابن عباس أن رجلا جاء للنبي ﷺ فقال: «إن عندنا يتيمة، وخطبها رجل معدوم (يعني فقيرًا) ورجل موسر، وهي تهوى المعدوم (أي تحب المعدوم)، ونحن نهوى الموسر. فقال ﷺ: «لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ».[1]

وأورد البخاري أيضًا عن ثابتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَنسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ، قَالَ أَنسٌ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نفْسَهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَكَ بي حَاجَةٌ؟ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنسٍ: مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا! وَا سَوْأَتَاهْ، وَا سَوْأَتَاهْ! قَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ،

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (ما جاء في فضل النكاح). وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة)، رقم: (٦٢٤).

رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ فعرَضَتْ عَلَيْهِ نفْسَهَا.[١]

ويعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: «... وأن مَنْ رغبت في تزويج مَنْ هو أعلى منها لا غبار عليها أصلا، ولا سيما إن كان هناك غرض صحيح أو قصد صالح؛ إما لفضل ديني في المخطوب، أو لهوى فيه يخشى من السكوت عنه الوقوع في محذور».[٢]

ضوابط لمشروعية الحب أثناء الخطبة:

وهذا الحب أو تلك العاطفة أمر قلبي، والقلوب بداية بيد خالقها سبحانه وتعالى. ولا حرج في هذا المطلب فهو إنساني، ما لم يقم على حرام أو مكروه، لكن

الإسلام يلزمنا أن نلجم نزوات العواطف بنظرات العقول، وأن نسلك بتلك العاطفة طريقًا مشروعًا حدده الإسلام.

فالأمر إذن يحتاج إلى ضوابط حتى يكون الحب مشروعًا، فإذا أردنا أن نتحدث عن ضوابط مشروعية الحب نقول[٣]:

١- إن حب الرجل المرأةَ وحب المرأة الرجل شعور إنساني ينبع من أصل فطري خلقه الله في أعماق الإنسان؛ وهو الميل إلى الجنس الآخر عند بلوغ درجة من النضج العقلي والبدني. وهذا الميل

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح). وروى القصة الطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في (مجمع الزوائد).

(٢) (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، ابن حجر العسقلاني، (١١/ ١٢٢) بتصرف.

(٣) الكلام للدكتور يوسف القرضاوي.

وما يتبعه من حب ليس أمرًا خبيثًا في أصله، إنما الخبث والطهر يتعلقان بالإطار الذي ينطلق فيه هذا الميل؛ فهناك إطار طاهر حلال، وهناك إطار خبيث حرام.

أي أن الحب عاطفة نبيلة بنبل غايتها، فإن كانت غاية الحب الزواج؛ أي يتخذ أحدهما الآخر رفيق طريق وشريك حياة فما أنبلها إذن من غاية.

٢ - إن الحب حين يكون عاطفة إنسانية بين اثنين من الرجال أو النساء، فإنه يحمل كل معاني التآلف والانسجام والتقدير والحنان، هذا مع الاستعداد للتضامن في مسرات الحياة وأحزانها، وفي رخائها وشدتها. ومثل هذا الحب لا يمكن أن يتم بين اثنين عاقلين إلا بعد صلة عميقة وخبرة طويلة، تمكّن كلا من الطرفين من معرفة صاحبه وإدراك العناصر التي تؤسس الحب وتنميه، وإلا كان مجرد إعجاب لحظة نتيجة أمر عارض أو مظهر خادع، ونحسب أن الأمر كذلك حين يكون الحب بين رجل وامرأة تحت مظلة الزواج، فإن اللقاء هو خطوة البداية، وتتوالى الخطوات بعده وتتقدم حتى تصل إلى الأَوْجِ، أو تتراجع حتى تصل إلى القاع.

٣- إن الله جميل يحب الجمال، لكن لا بد أن يكون مع جمال الصورة جمال الشخصية بأخلاقها وفضائلها؛ أي أن الله يحب مع الجمال الحق، ومع الحق الخير.

ولذلك فالدين لا ينكر الحب الجميل، بل هو يريد له تمام الجمال: يريد أن يصونه ويحوطه ويرعاه:

يصونه من الابتذال ومن كل ما يشينه حتى يتوثق برباط الزوجية

ويحوطه حتى لا ينقطع تحت ضغط شدائد الحياة

ويرعاه حتى يثمر ويمتد في براعم الذرية.

٤- إن الدين يبارك الحب الذي من عناصره جمال الصورة، ولا يَشْجُبُه بل يباركه ويمضي به في طريق الحق والخير -أي طريق الحياة الإنسانية- ليصاحب الجمال. والحياة الإنسانية الكريمة ليست جمالا فحسب، ولكنها تقوم على الحق والخير والجمال، وذلك يعني أن الدين ما جاء ليكبت المشاعر الإنسانية.

٥- إن ربنا الغفور الحليم يفسح المجال لانطلاق مشاعر الإنسان نحو الجنس الآخر، حتى في الفترة الحرجة؛ أي فترة العِدَّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

هي حقًا فترة حرجة؛ حيث مات الزوج من قريب، ورغم هذا الحرج لم يضيق الشارع على مشاعر الأحياء من الرجال والنساء، واكتفى بوضع ضوابط محدودة ترعى حق الميت، ولا تضيع حق الحي.

تأملوا قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ففيه إقرار للمشاعر الكامنة بين الجوانح. وتأملوا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ففيه نهي عن السلوك المنحرف.

٦- إن للزواج مقدماته، من تعارف ثم خطبة ثم عقد وأخيرًا يكون الزفاف، فهل يضير طريق الزواج -وقد يطول وقد يقصر- أن تغمره مشاعر الحب، وتتخلله كلمة حلوة بالمعروف أو بسمة حلوة بالمعروف، كما يتخلله تبادل الرأي والتعاون على إعداد البيت السعيد؟!

على أن مشاعر الحب النبيل -قبل إبرام العقد- تأنف اللمسة الحرام والخلوة الحرام، وتظل عاطفة مشبوبة وفرحة مجنحة وأملا كبيرًا.

٧- وما دام الزواج هو الهدف، فينبغي أن يكون المحب والمحبوب على قدر مناسب من النضج يمكّن كلا منهما من حسن اختيار شريك العمر، كما ينبغي أن يكون الزواج ممكن التحقيق عمليًا في زمن قريب، وذلك لتجنب حدوث عدة محذورات تقع غالبًا بسبب طول الزمن؛ مثل: احتمال وقوع فتور في مشاعر أحد الطرفين، أو الاضطرار إلى إلغاء مشروع الزواج تحت ضغط ظروف طارئة أو التورط -قبل إتمام الزواج- في سلوك غير مباح؛ بأن ينال كلٌّ من صاحبه ما لا يحل له.

٨- وأخيرًا، مع تقرير مشروعية الحب قبل الخطبة، ينبغي أن نقرر أيضًا ما أثمرته التجارب من عِبَر:

أ- إن الميل الفطري الجنسي وما يتبعه من إعجاب بالجمال البدني والمظهر الحسن هو أحد مقومات الحب الغامر

الكبير، على أن تسانده مقومات أخرى عديدة؛ من أخلاق كريمة، وأسرة طيبة، ومستوى ثقافي واجتماعي مناسب مع مهنة حسنة. ولكن فرق كبير بين أن يكون هذا أحد مقومات الحب، وبين أن يكون هو محور الإعجاب والسبب الأساسي لمشاعر الحب ولا شيء غيره، عندها نقول مطمئنين: إن هذا ليس حبًّا كبيرًا؛ إنما هو نزوة جنسية طاغية سرعان ما تنقضي.

ب- ليس كل حب غامر قبل الزواج يستمر بعده، فكثيرًا ما يفتر الحب لأنه لم يجد غذاء متجددًا يحفظه وينميه، غذاء تثمره العشرة الطيبة والتعاون على مواجهة الصعاب، وقد يتبع فتور الحب إخفاق الزواج ويكون الفراق.

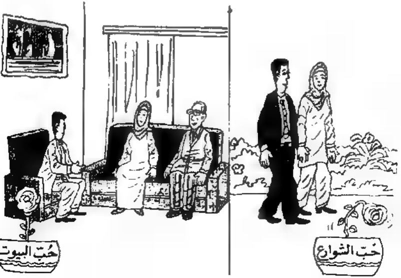

وأرى أن أفضل الطرق للزواج هو ما تعارفت عليه مجتمعاتنا العربية والإسلامية قبل الغزو الثقافي الغربي لأمتنا، وهو الاختيار الهادئ العاقل من كِلا الطرفين لشريكة الحياة أو شريكها، بعد الدراسة المتزنة لشخصية كل من الشاب والشابة، وملاءمة كل منهما للآخر، وإمكانات النجاح لهذا الزواج من النواحي المزاجية والنفسية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية، وعدم وجود موانع وعقبات في طريق الزواج من جهة أحد الطرفين، أو أعراف المجتمع أو قوانينه المرعية... إلخ.

هنا يأتي الخاطبُ البيتَ من بابه ويتقدم إلى أهل الفتاة، ويُتاح له رؤيتها كما تتاح لها رؤيته، وحبذا أن يتم ذلك من غير أن تعلم الفتاة بذلك؛ رعايةً لمشاعرها إذا رآها الخاطب فلم تعجبه ولم تدخل قلبه.

شريعة واقعية

إن الإسلام شريعة واقعية؛ ولهذا أرى ضرورة تتويج الارتباط العاطفي بارتباط شرعي قانوني، تتكون على أساسه أسرة مسلمة، يغذيها الحب كما يغذيها الدين.

إن استبداد الأهل بالرأي، والصمم عن الاستماع لنبضات قلب الفتى والفتاة، وتغليب اعتبارات الرياء الاجتماعي، والمفاخرات الجاهلية بالأنساب والأحساب، ليس وراءه في النهاية إلا تعاسة الأبناء والبنات، أو دفعهم ودفعهن إلى التمرد على التقاليد التي تجاوز أكثرها الزمن، وغدت من مخالفات عصور الانحطاط، وأصبح (نَسَبُ) عصرنا العلمَ والعملَ والنجاحَ.[1]

(١) (فتاوى معاصرة)، يوسف القرضاوي، (٢/ ٣٤٨، ٣٤٩).

والآن تعالوا نستمع إلى هذه القصة:

وصية فتى عفيف

كان هناك فتى يحب جارية، فطلبها لنفسه، فامتنع أهلها عليه، فبذل لهم جميع ملكه فأبوا عليه، وأصروا على رفض طلبه. فلما علمت بالأمر -وكانت تبادله الحب والهوى- أرسلت إليه قائلة: «مرني بأمرك، فوالله لأطيعنَّك، ولأنتهين إلى أمرك في كل ما أمرتني به»، فأرسل إليها قائلًا: «عليك بطاعة الله ﷻ؛ فإن عليها المُعَوَّل، والسكون إليها، وبطاعة من يملك أمرك؛ فإنها مضمومة إلى طاعة ربك ﷻ، ودعي الفكر في أمري لعل الله ﷻ يجعل لنا فرجًا يومًا من الدهر. فوالله ما كنت بالذي تطيب نفسي بنيل شيء أحبه أبدًا فأمنعه، فأمد يدي إليه حرامًا بغير ثمن، ولكن أستعين بالله على أمري، فليكن هذا آخر مرسلك إليَّ، ولا تعودي فإني أكره والله أن يراني الله تعالى وأنا في قبضته ملتمسًا أمرًا يكرهه مني. فعليك بتقوى الله فإنها عصمة لأهل طاعته، وفيها سلوى عن معصيته».

إن الذي يحرص عليه الإسلام بالنسبة للزوج أو الخاطب هو الدين والْخُلُق، وهما أهم مقومات الشخصية المسلمة. وفي هذا يقول الرسول الكريم ﷺ: «إِذا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».(١)

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه). وحسنه الألباني في (صحيح الجامع).

هل تختار المرأة الرجل؟!

هذه العبارة هي عنوان أحد أبواب صحيح البخاري، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه أيضًا باب (عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح)، وأورد من الأحاديث ما يلي:

عَنْ ثابتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَنسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ، قَالَ أَنسٌ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَكَ بِي حَاجَةٌ؟ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنسٍ: مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا! وَا سَوْأَتَاهْ، وَا سَوْأَتَاهْ! قَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ؛ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا. (١)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَامَتْ طَوِيلا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَزَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ، فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا؟»، فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلا إِزَارِي هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِزَارَكَ! إِنْ أَعْطَيْتَهَا جَلَسْتَ وَلا إِزَارَ لَكَ»، فَالْتَمِسْ شَيْئًا. قَالَ: مَا أَجِدُ. قَالَ: «فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، قَالَ: فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟»، قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا.. (لِسُوَرٍ سَمَّاهَا)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ». (٢)

قال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالى-: «وفي الحديثين دلالة على جواز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه، وأن لا

---

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح).
(٢) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (منه).

غضاضة عليها في ذلك، وأن الذي تعرض المرأة نفسها عليه إن شاء رضي وإن شاء رفض، لكن لا ينبغي أن يصرح بالرد؛ بل يكفي السكوت (أي سكوته)؛ لأن هذا السكوت آلين في صرف المرأة وآدبُ من الرد بالقول».[1]

قال الإمام (العيني) في شرحه للحديث الأول ما نصه: «قول أنس لابنته: «هي (أي التي عرضت نفسها على رسول الله ﷺ) خير منك» فيه دليل على جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، وتعريفه رغبتها فيه لصلاحه وفضله، أو لعلمه وشرفه، أو لخصلة من خصال الدين، ودليل على أنه لا عار عليها في ذلك، ويدل على فضلها. وبنت أنس رضي الله عنه نظرت إلى ظاهر الصورة، ولم تدرك هذا المعنى حتى قال أنس: «هي خير منك». وأما التي تعرض نفسها على الرجل لأجل غرض من الأغراض الدنيوية فأقبح ما يكون من الأمر وأفضحه».[2]

شروط جواز اختيار المرأة للرجل وكيفية إخباره بذلك:

إذا جاز للمرأة أن تختار الرجل الذي ترغب في زواجه فالشرط لهذا الجواز ما أشار إليه حديث أنس، وما ذكره العلماء في دلالته على هذا الجواز.

فيشترط لهذا الجواز أن يكون الرجل المختار متصفًا بالتدين والصلاح أو بالعلم أو بخصلة من خصال الدين، ولا يكون اختيارها لغرض دنيوي

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ابن حجر العسقلاني، (٩/ ١٧٥).
(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، للإمام العيني، (٢٠/ ١١٣)

أو أن تقوم هي بإخباره برغبتها فيه.

إلا أن ابن حجر العسقلاني لم يذكر في شرحه لحديث أنس شرط الصلاح في الرجل الذي تعرض المرأة نفسها عليه. ولكن الإمام البخاري جعل عنوان الباب قوله: (بَابُ عَرْضِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ)[1]، وذلك يشير إلى أن البخاري يشترط صلاح الرجل لجواز أن تعرض المرأة نفسها عليه.

والراجح لجواز عرض المرأة نفسها على الرجل ليتزوجها أن يكون هذا الرجل متدينًا وذا خلق حسن، قال ابن عابدين -رحمه الله تعالى-: «والمرأة تختار الزوج المتدين، الحسن الخلق، الجواد الموسر، ولا تتزوج فاسقًا».[2]

ما يتبع اختيار المرأة لمن يتزوجها:

وإذا اختارت المرأة الرجل الذي ترغب في نكاحه، وعلم برغبتها في ذلك، فإن ما يتبع اختيارها وعلمه له هو أحد أمرين: إما أن يرفض الرجل بصريح القول أو بسكوته، وإما أن يوافق على ما عرضته ويعلن رغبته فيه.

وفي الحالتين على المرأة أن تنصرف وتبتعد عن الرجل، ولا تكرر إظهار رغبتها؛ لأنه برفضه الصريح أو بسكوته لم يبقَ عندها ما تقوله للرجل، وإذا رضي بعرضها ووافق عليه وأعلن رغبته لها في زواجها، فكذلك عليها الانصراف والابتعاد عنه؛ لأنه إن كان صادقًا في موافقته،

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح)، باب (عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح).

(٢) انظر: (المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم)، لعبد الكريم زيدان (٦/ ٥٤ وما بعدها).

فعليه أن يقوم بالخطوة التالية؛ وهي التقدم إلى أهلها وذويها لخطبتها وعقد النكاح عليها.

ولا يجوز لها أن تختلي به أو أن تخرج معه بمجرد أن يعلن لها رغبته في الزواج بها؛ وإنما يجوز لها شيء من ذلك بعد عقد الزواج، أما قبل إتمام الزواج فلا يجوز لها الخروج معه والجلوس إليه، أو التحدث معه على انفراد أو في خلوة كما سنفصل بعد ذلك.

لا خلـــوة

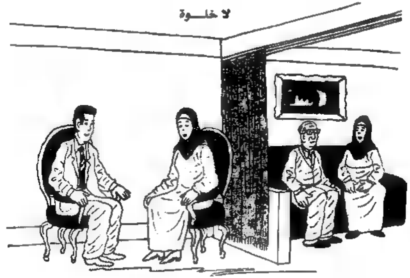

تذكـــــروا:

أن حسن الاختيار بداية الاستقرار.

واعلموا:

- أن ضوابط حسن الاختيار تتلخص في معيارين أساسيين: معيار الدين، ومعيار القبول.
- أن الدين هو الدائرة الأساسية التي من خلالها يتم الاختيار، فلا بد من الاطمئنان عليه أولا من ناحية الزوجة والزوج.
- وأن خلل الاختيار يؤدي إلى الانهيار.
- أن معايير القبول متعددة فمنها:

١- معيار الشكل.. ولكن بشرط أن يكون بعد الدين. والشريعة أباحت الرؤية للاختيار بل حثت عليها.

٢- معيار البكر أم الثيب.. وقد تميل النصوص إلى تفضيل البكر، إلا أن الثيب لها مميزات متعددة، منها: كونها ذات دين، والحاجة إليها، وحاجتها إلى الرجل.

٣- معيار الكفاءة: والأصل فيه الدين، إلا أنه ينظر إلى أمور كثيرة بعده؛ مثل: النسب والحرية والحرفة والمال والسلامة من العيوب. وقضية الشهادة العلمية وتوافق

المستوى المادي والاجتماعي، والتقارب في السن من الأمور التي لا بد من الكفاءة فيها.

٤- **القبول القلبي** من المعايير الأساسية في الاختيار، والإسلام حث على زواج المتحابين. وهناك ضوابط لمشروعية الحب أثناء الخطبة، حيث تنظر الشريعة نظرة واقعية قائمة على العفة إلى هذا الموضوع.

الفصل الثاني

لا بد أن تتوافر ثلاثة شروط في التي يريد الرجل أن يتقدم لخطبتها، ويوضحها التخطيط التالي:

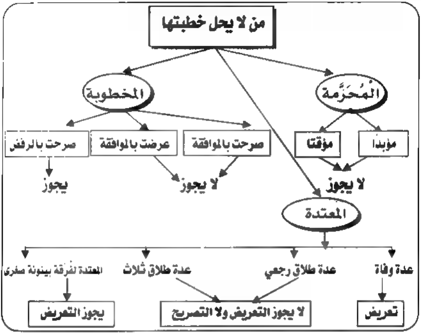

الشرط الأول: ألا تكون محرَّمة على الخاطب:

سواء كان تحريمًا مؤبدًا؛ كالأخت من النسب أو الرضاع، أو تحريمًا مؤقتًا، مثل: زوجة الغير، وأخت مخطوبة الخاطب.

الشرط الثاني: المعتدة.

أ- المعتدة عدة الوفاة: قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ومعنى الآية الكريمة: لا إثم عليكم في التعريض بالخطبة للمعتدة عدة الوفاة، أما التصريح بالخطبة لها فلا يجوز بلا خلاف، كما أن يقول

لها: أريد أن أتزوجك.(١)

تعريض المعتدة في الجواب:

ويجوز للمرأة المعتدة عدة الوفاة أن تجيب تعريضًا لا تصريحًا على مَنْ يعرض في الخطبة؛ لأنها في الجواب كالرجل في الخطبة، قال ابن قدامة الحنبلي: «والمرأة في الجواب كالرجل في الخطبة فيما يحل ويحرم».(٢)

ب- خطبة المعتدة من طلاق رجعي: وهي التي تعتد لطلاقها للمرة الأولى أو الثانية لا يجوز لأحد خطبة المعتدة لطلاق رجعي، لا تصريحًا ولا تعريضًا؛ لأنها في حكم الزوجة. يقول تعالى:﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة:٢٢٨].

ج- المعتدة من الطلاق الثلاث: يجوز التعريض بخطبتها في عدتها، وهذا عند الحنابلة.(٣)

وقال الحنفية: لا تجوز خطبتها في عدتها، لا تصريحًا ولا تعريضًا ».(٤)

د- المعتدة لفرقة هي بينونة صغرى: عند الحنابلة لا يجوز خطبتها في عدتها تصريحًا ولا تعريضًا، أما الشافعية فقالوا: يجوز لغير زوج المعتدة التعريض في خطبته(٥)؛ حيث إن المعتدة لفرقة تكون فيها بائنة بينونة

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن)،القرطبي (٤/ ١٨٧ – ١٨٨).
(٢) (الجامع لأحكام القرآن)، (٤/ ١٨٨).
(٣) (المغني)، ابن قدامة المقدسي، (٦/ ٦٠٨).
(٤)(شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية)، محمد زيد الأبياني (١/ ٥).
(٥) (المغني)، لابن قدامة (٦/ ٦٠٩)، (شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية)، للأبياني (١/ ٦).

صغري يحل لزوجها نكاحها كالمختلعة والمطلقة قبل الدخول، والفرقة بسبب غيبة الزوج أو سبب أَسْره، ونحو ذلك، أما إذا انتهت عدتها فهي حرة ويجوز التصريح بخطبتها من زوجها أو غيره .

أما الحكمة من تحريم خطبة المعتدة فهي: أن المعتدة من طلاق رجعي تعتبر زوجة المطلِّق ما دامت في العدة لقيام مِلْك النكاح من كل وجه، فلا يجوز خطبتها.

وأما المطلقة ثلاثًا أو بائنًا والمتوفى عنها زوجها فلا تصريح بالخطبة، ويجوز التعريض؛ لأن النكاح حال قيام العدة قائم من وجه .

والخطبة حال قيام النكاح من وجه (أي في العدة) تؤدي إلى وقوف الخاطب موقف التهمة والرتع حول الحمى، وفي الحديث النبوي الشريف: «... مَنْ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ».[1]

كما أن خطبة المعتدة تكسب العداوة بين المرأة وخاطبها من ناحية، وبين زوجها الذي طلقها؛ لأن العدة من حقه، وأيضًا الخطبة بالتعريض للمتوفى عنها زوجها تكون سببًا للعداوة فيما بينها وبين ورثة المتوفى، فيحرم التصريح احترامًا للعدة.[2]

حكم الزواج بعد الخطبة المحرمة للمعتدة:

وإذا خطب الرجل معتدة خطبة محرمة (حسب التفصيل السابق) ثم

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (البيوع عن رسول الله)، باب (ما جاء في ترك الشبهات).
(٢) (المفصَّل)، عبد الكريم زيدان، (٦/ ٧٠).

تزوج المخطوبة بعد انقضاء عدتها، فما حكم هذا النكاح؟

قال ابن قدامة الحنبلي: صح نكاحه. وقال مالك: يطلقها طلقة، ثم يتزوجها. قال ابن قدامة: «وهذا غير صحيح؛ لأن هذا المحرم (أي الخطبة المحرمة) لم يقارن العقد فلم يؤثر فيه كما في النكاح الثاني، أو كمن رآها متجردة ثم تزوجها».[1] ومع هذا كله يظل آثمًا في فعله، وعليه التوبة منه.

الشرط الثالث: أن لا تكون مخطوبة للغير:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ الرَّجُلِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ.[2]

والنهي عن الخطبة على خطبة الغير هو نهي تحريم عند الجمهور، بل حكى الإمام النووي الإجماع على ذلك، ولكن اختلفوا في شروط هذا التحريم، وهذه الشروط تعرف من بيان أنواع الخطبة على خطبة الغير.

أنواع الخطبة على خطبة الغير:

وأنواع الخطبة على خطبة الغير تظهر ببيان حال المخطوبة -أي ببيان موقفها من الخاطب- وقد بلغها خطبته لها، وحال المخطوبة لا تخلو من ثلاثة أقسام[3]:

---

(١) (المغني)، ابن قدامة المقدسي (٦/ ٦١٠).
(٢) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع).
(٣) راجع الشكل السابق ص ٧٣.

١- أن تصرح المخطوبة بالإجابة له؛ أي تجيبه بالموافقة، أو تأذن لوليها بأن يجيبه بالموافقة أو بتزويجه منها، فهذه المخطوبة، وهذه حالها يحرم على غير خاطبها أن يتقدم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَخْطُبْ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ».[1] وفي رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَبِعْ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إلا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ».[2]

(أي يأذن الخاطب الأول للخاطب الثاني بالخطبة، فهذه الخطبة الثانية حرام بالإجماع؛ لِمَا فيها من إضرار بالخاطب الأول، وإيقاع العداوة بينه وبين الخاطب الثاني، وليس هذا مما تستدعيه وتتطلبه أخوة الإسلام).[3]

٢- أن ترد المخطوبة الخاطب وترفض خطبته أو أنها لا تركن إليه، فهذه يجوز خطبتها؛ لِمَا روي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ، فقال لها رسول الله ﷺ: «فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي». قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ (لرسول الله ﷺ): أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»، فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ.[4]

---

(١) رواه النسائي، كتاب (النكاح)، باب (النهي على أن يخطب المرء على خطبة أخيه).
(٢) رواه مسلم، كتاب (البيوع)، باب (تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه).
(٣)(المغني)، ابن قدامة المقدسي (٦/ ٦٠٥).
(٤) رواه مسلم، كتاب (النكاح)، باب (المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها).

ففي هذا الحديث ما يدل على أن فاطمة لم تركن إلى واحد من الخاطبين (معاوية أو أبي جهم)؛ لأن النبي ﷺ قال لها: إذا حللت فآذنيني، فلم تكن لتجيب قبل أن تؤذن رسول الله ﷺ. وأيضًا فإن فاطمة ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ كالمستشيرة له فيهما؛ أتقبل واحدًا منهما أم ترفضهما؟ وليس في الاستشارة دليل ترجيح القبول لأحدهما أو رد الاثنين معًا.

ثم إنها ذكرت ذلك للنبي ﷺ لترجع إلى رأيه وقوله، وقد أشار عليها بتركهما، فجرى ذلك مجرى ردها لهما، ومع ردها لهما يكون لغيرهما خطبتها. وقد أشار النبي ﷺ عليها بزواج أسامة بن زيد لِمَا علمه ﷺ من المصلحة لها في زواجها منه؛ لما كان عليه أسامة من خلق ودين.(١)

٣- أن يوجد من المخطوبة ما يدل على الرضا بالخاطب والركون إليه، ولكن تعريضًا لا تصريحًا كقولها: ما أنت إلا رضا، وما عنك رغبة، فهذه في حكم القِسْم الأول، لا يجوز لغيره خطبتها، وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد، فلا تجوز خطبة المرأة المخطوبة ما دامت قد ركنت إلى خاطبها الأول ولو تعريضًا؛ لأن الركون يستدل بالتعريض تارة وبالتصريح أخرى.(٢)

* * *

(١) «المغني»، ابن قدامة المقدسي (٦/ ٦٠٦).
(٢) «المغني»، (٦/ ٦٠٥، ٦٠٦)، و«صحيح مسلم بشرح النووي»، (٩/ ١٩٧)

تذكر أن:

ثلاث لا تحل خطبتهن إلا بشروط:

المحرَّمة، والمعتدة، والمخطوبة.

واعلم أن:

المحرمة قد تكون محرمة تأبيدًا كأم الزوج والأخت، أو مؤقتًا كزوجة الغير وأخت زوجة الخاطب.

ونذكر أن:

المعتدة لها عدة أحوال:

* فلا يجوز الخطبة لا تصريحًا ولا تعريضًا للمعتدة من طلاق رجعي.

* ويجوز التعريض بالخطبة وعدم التصريح بها للمعتدة من بينونة صغرى أو طلاق ثلاثة أو متوفى عنها زوجها.

واعلم أن الحكمة من ذلك المنع:

١- إعطاء الفرصة للزوج في الرجوع في الطلاق الرجعي والبينونة الصغرى.

٢- عدم جرح مشاعر الأسر في الطلاق ثلاثًا والمتوفى عنها زوجها.

وتذكـــر أن:

المخطوبة لها ثلاثة أحوال: إما أن تصرح بالرفض فيجوز خطبتها، أو تصرح بالموافقة، أو تعرض بها فلا يجوز خطبتها حتى يتخلى الخاطب أو ترفضه.

واعلم أن:

الزواج الذي يتم على خطبة محرمة أو مكروهة صحيح ما لم يتعارض مع حرمة (مثل المحرمة عليه)، ولكن يكون الزوج آثما وتأثم الزوجة ووليها أو إحداهما إن كان يعلم ويقر غير مكره.

الباب الثاني

بداية الأحلام

الفصل الأول

الكنز

مهما تفرَعت سبل الحياة بالفتى فإن مصيره في النهاية أن يفكر في الزواج. والتفكير في الارتباط بأخرى هو القرار الذي ينبني عليه كثير من القرارات في حياة كل شاب؛ فقد يُحَدَّد مكان عمله بناءً على هذا القرار. وقد يُحَدَّد نوعية دراسته العليا أو أسلوب معيشته أو مكان سكنه بناءً على هذا القرار أيضًا. والاختيار هو مفترق الطرق: فإما طريق إلى السعادة، وإما طريق إلى الشقاء.

«الكنز»

ونحن لا نستطيع أن نسير في الحياة وحدنا؛ لذلك فقد خلق الله تعالى الزوجين كل منهما من نفس الآخر حتى يسيرا معًا في طريق الحياة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وبالاختيار الحسن تكون قد وجدت الكنز.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «أَلا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ».(١)

(١) رواه أبو داود، كتاب (الزكاة)، باب (في حقوق المال).

وبالاختيار الحَسَن تضع نفسك بين يدين حانيتين، وتُظِلُّكَ عينان راعيتان، ويهفو إليك قَلْبٌ مُحِبٌّ.

بالاختيار نقول كما قال الشاعر:

فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتِ أَشْقَيْتِ عِيشَتِي   وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتِ أَرَحْتِ بَالِيَا

أنت تبحث عن زوجة، ولكن لا يكفي هذا فالتحديد مطلوب؛ فإن كنت تبحث عن بيت فأنت تعيش في بيت وفي أسرة، وإن كنت تبحث عمن يساعدك في الحياة ويخدمك ويقضي لك أمورك واحتياجاتك فكثير ممن حولك يقدمون لك الكثير من الخدمات.

هل أدركت الآن أهمية الاختيار؟

أراك تجيب: نعم، ولكن كيف؟

وهذا هو السؤال الذي سنحاول أن نجيبك عنه في هذا الفصل؛ لترسو سفينتك على شاطئ آمن، ينقذ قلبك المكدود من أعماق بحار الحياة المظلمة.

فالزوجة الصالحة هي الواحة التي تَحُطُّ عندها رِحَالك لتجد الظل الظليل، والماء البارد، فتسكن نفسك بعد لذع سياط هجير الصحراء المقبضة.

الزوجة الصالحة هي جنة السعادة التي تخلع أحزانك على أعتابها، وتروي ظمأك من ينابيع المودة والرحمة فيها، هي آية من آيات الله في الكون.. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[الروم: ٢١].

أنت تختار [السَّكَن]:

والسكن من السكينة.. فعندما تتشتت الطرق وتتعثر الأقدام ويستشعر الإنسان الرغبة في هدوء النفس فإنه يلجأ إلى طرفه الآخر الذي اختاره الله له.. يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

أنت تختار [قُرَّةَ العَيْن]:

ومن دعاء العبد الصالح في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

فالزوجة قرة عين والأولاد قرة عين.. يستريح الإنسان وينعم معهم جميعاً؛ فتنضبط جميع العلاقات حتى يصبح الإنسان إمامًا للمتقين. ومعنى أنها قرة عين أنك تختار مصدر الراحة ومصدر ترتيب الحياة ومصدر المحافظة على الوقت، مصدر لجعل سلوكك وتصرفاتك كلها تساق ناحية النجاح، وقمة النجاح أن تكون للمتقين إمامًا.

أنت تختار [الرَّاعِيَة]:

يقول النبي ﷺ: «...وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».[1] فهي شريكة حياة؛ ترعى لك

(١) رواه أبو داود، كتاب (الجمعة)، باب (الجمعة في القرى والمدن).

أمورك كلها، ترعى وقتك وبيتك ومصالحك؛ بمعنى أنك تختار زوجة فيها الصفات المؤهلة لأن تكون قادرة على تحمل المسئولية.

أنت تختار [الحافظة]:

يقول تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].وهل يرتاح البال بغير حافظة على مالك وعرضك .

أنت تختار [الحبيبة]:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]. والحبيبة هي التي تربط نفسك وحياتك ومستقبلك وطموحاتك وأفكارك وأحلامك بها، فأنت تبحث عن حبيبة. وهذا ليس عيبًا، ولا بد أن يكون من شروطك عند الاختيار.. فأنت تنتقل من مراهقة العلاقات إلى رشد المسئولية، فيجب عليك أن تبحث عن تلك الحبيبة التي تسعد بكونك مسئولا عنها.

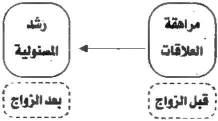

أنت تختار [العَرُوبَ]:

وهي المتحبِّبة إلى زوجها، يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[الواقعة: ٣٥-٣٧].

وأترابًا أي سنًّا واحدة، أما العروب فهي الطائعة لزوجها المتوددة له المتقربة إليه، التي إذا أغضبته قالت له: «يدي في يدك، لا يغمض لي جفن حتى ترضى».

أنت تحتاج المرأة بجميع الصفات الحسنة فيها، أنت تحتاج الأنثى التي تستكمل نصف دائرة الإنسان فيك.. تحتاج أنثى تتقرب إليك، تتودد إليك، تتحبب إليك، وهذه هي العروب. أنت تحتاج الزوجة التي ليس في عقلها ولا قلبها إلا أنت، وبذلك تكتمل دائرة سعادتك.

أدوات الاختيار:

فيها معنا لتحسن اختيار زوجة تسعدك.

وسوف نضع بين يديك خمس أدوات كاشفة، تستطيع بها أن تصل -إن شاء الله- إلى الاختيار الجيد؛ وهي:

١- متى؟
٢- لماذا؟
٣- مَن؟
٤- أين؟
٥- كيف؟

وشعارنا في هذه المرحلة [حسن الاختيار بداية الاستقرار]،
وقد يرى البعض أن كلامنا يتجه نحو المثالية،
إلا أننا ندعو كل واحد أن يأخذ منه بقدر حاجته.

الخطوة الأولى: متى؟

أَعْلَمُ أنك الآن ابتسمت، وتقول: أنا مستعد لأن أتزوج منذ أن بلغت الحُلُم، حتى أن الله سبحانه وتعالى سمى بلوغ الحلم (الزواج) قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء:٦]، وأدرك أن هذا السؤال قد تحوَّر في عقلك ليصبح:

أين الإمكانيات التي تعينني على الزواج؟!

ففي ظل البطالة الاقتصادية التي يعيشها الشباب في كل المجالات يتأخر -في الغالب- التفكير في اختيار زوجة المستقبل إلى ما بعد سن الخامسة والعشرين. وهذا ليس عزوفًا عن الزواج بل العكس هو الصحيح؛ فإن الشاب منذ أن يصل إلى سن السادسة عشرة مثلا أو قبلها يجد أن النجاة من طوفان الفتن من حوله أن يرتبط بزوجة، ولكن من أين يأتي بالتكاليف التي تعينه على الزواج؟!

البلوغ الجنسي

وبلوغ الفتى الحُلُم يعني بدأ عمل الجهاز التناسلي، ويحدث ما يسمى بطفرة النمو فيسرع النمو في جميع أجزاء وأجهزة الجسم.

ولا يعني البلوغ الجنسي وبدأ عمل الجهاز التناسلي أن الفتى بلغ في جميع أجهزة الجسم بنفس المقدار.. هناك النمو الانفعالي والنمو الحركي والعقلي والمعرفي والاجتماعي، هناك نمو الشخصية، وتقدير الذات ومعرفتها، والهوية الاجتماعية، والقدرة على تحمل المسئولية.[1]

كل هذه الأمور تحتاج مع النمو الطبيعي نمواً تدريبيا اكتسابيا من التجربة الحياتية؛ حتى يصل الإنسان إلى بدايات الرشد مكتمل النمو في جميع الأركان.

فمعنى البلوغ الجنسي أنه يصلح للزواج كممارسة، ولكن هل يعني ذلك أنه يصلح للزواج كتحمل مسئولية ومعاملة شريك حياة وتربية طفل وتفاعل مع مستجدات الحياة؟ أظن لا.

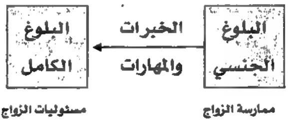

ولكن ليس السن هي المؤشر الوحيد لبلوغ الرشد، فهناك مجتمعات يدخل فيها الصبي الذي أكمل خمسة عشر عامًا في سلك الرجال؛ مثل المجتمعات الريفية والبدوية.

(١) راجع سلسلة (أولادنا) للمؤلف، كتاب (بلوغ بلا خجل – ومراهقة بلا أزمة).

تحديد سن الزواج

إلا أنه يمكن من خلال عوامل مختلفة أن نقول: إن أنسب سن للفتى ليبدأ الاختيار هو ١٨ سنة، ولا يعني ذلك الزواج في هذه السن وإنما هو التفكير في الاختيار.

الدرجة الدراسية

والشباب إمَّا توقَّفت مسيرة تعليمه عند الدراسة المتوسطة أو قبلها، فيقتحم الحياة العملية في مجالات العمالة الفنية أو التجارة أو غيرها، وإما أن يكمل دراسته الجامعية وما بعدها.

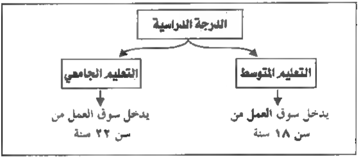

والشباب أصحاب الدراسة المتوسطة أو أقل يفكرون في الزواج في العشرين من عمرهم، أما ذوو الدراسة الجامعية فيبدءون التفكير بعد الثالثة والعشرين في الغالب.

وربط الزواج بالتعليم الجامعي ربط غير سليم؛ فالشاب الذي يريد أن يترك المراهقة خلفه لا بد أن يقتحم سوق العمل. أما الدراسة الجامعية فلا يكون الغرض منها هو التأهيل للعمل، إنما يكون الغرض منها هو

الترقي في العمل فيما عدا بعض الدراسات مثل الطب والهندسة.[١]

موافقة الأهل

ومن الأمور المهمة جدا في الإجابة عن سؤال متى هو موافقة الأهل، فلا تنسى أنك عضو في أسرة ولا بد أن يحدث تشاور معهم. أبيِّن رغبتي في الارتباط وأقنعهم بحاجتي إليه، وأطلب تعاونهم معي، ولا أشعرهم أني أفرض عليهم شيئا معينا بل الأمر يرجع إليهم، ورأيهم محترم ومعتبر؛ لأن الزواج ليس مجرد ارتباط فتى بفتاة ولكنه ارتباط عائلة بعائلة وأسرة بأسرة. والرسول ﷺ يبين أن من أسباب المباركة في الزواج «من تزوج ليصل رحمه»، فمن أهداف الزواج صلة الرحم.

البـــاءة

وعلى هذا الأساس فأنا أوافقك على أن سؤال (متى؟) تكون الإجابة عليه بـ: عندما يتوفر لي الحد الأدنى من إمكانيات الزواج، وقد سمَّاها رسول الله ﷺ الباءة؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».[٢]

وقد تكون هناك معوقات أخرى لبدء التفكير في الاختيار، مثل:

- استكمال الدراسات العليا في الجامعة.

(١) راجع سلسلة (أولادنا) للمؤلف؛ كتاب (شباب بلا مشاكل).

(٢) رواه البخاري، كتاب (الصوم)، باب (الصوم لمن خاف على نفسه العزبة).

- مساعدة الأخوات في الزواج، أو الإنفاق على العائلة، أو أي شيء مِمَّا تُلْزِم به الأعراف والتقاليد.

ولكن عمومًا تقف الإمكانيات المادية كمعوق أساسي لتحديد موعد بدء التفكير في الاختيار. أمَّا مَنْ يَسَّر الله لهم وأعانهم بقدرة مادية فإن أنسب سن لاتخاذ قرار الاختيار هي سن الانتهاء من الدراسة الجامعية؛ أي حوالي الثانية والعشرين، وأكبر من هذه السن غير مرغوب فيها ويمكن أقل منها؛ حيث إن الأمر يأخذ نحو ثلاث سنوات، فتبدأ حياتك كزوج وحياتك العملية الجادة وأنت في سن الخامسة والعشرين.

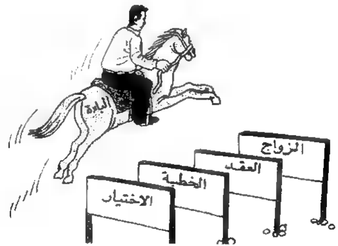

أين الباءة؟

ونعود لهؤلاء الذين تقف الباءة معوقًا أمام بدء تفكيرهم في هذا الأمر، وإن كانت توجيهاتنا التالية يمكن أن نستخدم فيها الأداة الخامسة

من أدوات الاختيار (كيف؟)، إلا أن الحديث عنها لا بُدَّ أن يكون هنا في الخطوة الأولى.

أقول لكم: **ليس معنى بداية الحياة العملية أن تنتهوا من دراستكم، فتعالوا لأضع بين أيديكم بعض المقترحات، وقد أفلح من ابتكر وأبدع.**

١- **عوِّدوا أنفسكم على اكتساب الرزق**؛ فإن من صفات المسلم أنه (قادر على الكسب). والنبي ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».[1]

ولتكن الإجازة الدراسية فترة تدريبية على اكتساب الرزق، وإياك أن تقول: أين العمل المناسب لي؟ اقتحم أي مجال، ولا تستهنْ بعمل أو تتكبر عليه أو ترفع عنه؛ فإن الله يحب اليد الجافة من العمل.

واعلم أن نبي الله زكريا كان نجارًا، ونبي الله داود كان حدَّادًا، وخير الخَلْق محمدا ﷺ كان يرعى الغنم، ويخرج في التجارة بأموال الناس. وكان أبو بكر الصديق بائع قماش، وكان مثله أبو حنيفة -رضي الله عنه- وكان علي بن أبي طالب يؤجِّر نفسه للعمل اليدوي؛ لينفق على فاطمة ابنة محمد ﷺ زوجته.

---

(١) رواه مسلم، كتاب (القدر)، باب (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله).

والرسول ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[١] وأن تكسب رزقًا فذلك من القوة.

وإني لأعجب من الشاب الذي يظل حتى ١٨ سنة وأكثر من ذلك ولا زال يعتمد اعتمادًا أساسيًّا على المصروف الذي يأخذه من أبيه، والأعجب من ذلك أن الأهل في أكثر الأحيان يعترضون على أن يعمل ابنهم في فترة الإجازة!!

والعمل قيمة من قيم الإسلام وخلق من أخلاقه. لما أراد الله أن يعلم الناس الشكر دلهم نحو العمل ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

والله يحب المؤمن العامل، ولم تذكر آية من القرآن الإيمان إلا مقرونًا بالعمل أو شكل من أشكال العمل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

ومنظومة التعليم الجامعي ووسائلها في بلادنا تجعل الشاب عاطلا من سن ١٨ إلى ٢٥ سنة بحجة الحصول على شهادة تؤهله لسوق العمل، وبذلك تتعطل قوة رهيبة من قوى المجتمع في أهم وأكثر مراحل العمر عطاءً.

والحل أن تنتهي مرحلة التعليم عند التعليم المتوسط لإعداد أجيال مهنية عاملة تصب في احتياجات العمل في المجتمع، وتصب في نمو الشاب وارتقائه نحو الرشد باكتساب الرشد تدريبيا، وبعد ذلك من يريد أن يرتقي

---

(١) نفس التخريج السابق .

في وظيفة ما فعليه أن يلتحق بالجامعة ويأخذ بعض المجموعات الدراسية الجامعية.. فيصبح التعليم العالي وسيلة للترقي في العمل.

ولكننا نجد أن جيوش العاطلين بعد مرور أخصب فترات العمر حتى ٢٥ سنة قد تدربت في تلك الفترة على البطالة؛ حيث إن كلا منهم لا يقبل إلا أن يصبح مديرًا بعد شقاء الدراسة!! وكل شاب يريد أن يصبح صاحب مشروع، في سلسلة من الأحلام غير الواقعية والناتجة عن قلة الخبرة وبعض التأثيرات الاجتماعية والعرف، ولا بد أن يعلم الجميع أن كل حلال هو عمل شريف، ومن أدمن طرق الأبواب توشك أن تفتح له.

وهذه ليست أحلام ولكنها كلام واقعي مجرب، وكثير جدا من الشباب يعمل في الإجازات الدراسية بل وكثير منهم يعمل في أثناء دراسته؛ بل إن المبتعثين إلى الدول الأجنبية يعمل معظمهم هناك في أعمال قد تكون مرفوضة من وجهة نظر مجتمعاتنا، ولكنه يقبلها هناك ويدرس ويحصل على أعلى الدرجات، ثم يعود أستاذًا في بلده.

٢- **عَوِّدْ نفسك الادخار** منذ أول قرش تكسبه. ادَّخر ثلث دخلك، وحاول أن تزيد ادخارك إلى النصف، وأَحْسِنْ اختيار وعاء ادخارك؛ بحيث يكون بعيدًا عن متناول يدك، وألا يدخل فيه ربًا. وانظر كيف يحمل الله تعالى على المبذرين حملة عظيمة، يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

٣- اتقِ الله، وتخلَّص من العادات السيئة في الإنفاق؛ فإن هذا يُعِينُك على الادخار، فأوقف شهوة الشراء عندك، وتخلص من نموذج الشاب

الذي لا يعمل وما زال يأخذ مصروفه من والده ويتمنى الزواج، ويحمل جهاز تليفون يكلفه شهريا الكثير وينفق ما لديه على أبواب المطاعم وعلى بعض الهوايات الفارغة. جرب مرة أن تحسب قيمة كل ذلك، ستجد بذرة إدخار جيدة، بمجرد أن تضعها في وعاء إدخاري ستنمو لتعطيك شجرة الباءة التي ستثمر زواجًا قريبًا إن شاء الله.

٤- ابدأ في التخطيط للحصول على سكن، وادرس إمكانيات ذلك جيدًا.

وتابع المشروعات التي تعرضها الحكومة، واجمع على الأقل الكثير من المعلومات حول الموضوع.

٥- لا تنسَ مسئولياتك المادية تجاه الوالدين والعائلة، وأنفق في سبيل الله يَزْدَد مالك.

إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ: لا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا -وقَالَ أَبو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: إِلا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ- وَلا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ».(١)

إن الوالدين وإن لم يحتاجا فإنهم يحبون القرش الذي جاء من تعب ابنهم وعمله، إنه أحب قرش عندهما؛ فهو دليل على إثمار زرعهم الذي يرعونه منذ سنين.

---

(١) رواه أحمد، كتاب (مسند العشرة المبشرين بالجنة)، باب (حديث عبد الله بن عوف الزهري).

التمسوا الرزق في النكاح

وهذا العنوان ليس لكل الناس، وإنما لهؤلاء الذين عرفوا ربهم حق المعرفة.

انظر إلى أحدهم يقرأ قول الله -تعالى-: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] فيربط بين أمر الله بالزواج، وبين إغنائه للفقراء من الراغبين في الزواج، فيقول: «عجبت لِمَن لا يلتمس الرزقَ بالنكاح».

ونلاحظ أن أمر الله بالنكاح يتوقع بعده سؤال مباشر (والفقر؟) فنجد الإجابة تأتي مباشرة في الآية: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

والنبي ﷺ يؤكّد ذلك فيقول: «ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَوْنُهُمْ: الْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ، وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».[1] ولاحظ أيضًا وجود النكاح وسط هاتين الصفتين (المكاتب والمجاهد)، وانظر ماذا يفعل ضغط الشهوة في الإنسان، فإذا سيطرت عليه استعبدته وجعلته رفيقا لها يأتمر بأمرها، فإذا أستخدمها في الحلال واستمتعُ بها تحت مظلة الشرع بالزواج انطلق من عقاله وتحرر؛ بل وارتقى إلى آفاق المجاهد في سبيل الله.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (فضائل الجهاد)، باب (ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله). المكاتب هو العبد الذي يريد أن يتحرر فيكتب عقداً مع سيده على مبلغ معين من المال.

والواقع يتحدث:

ثُمَّ يتحدث الواقع، وتخبرنا النتائج العملية للتجارب، ونرى أمامنا عشرات القصص لشباب أقبلوا على التفكير في الزواج بنية أن يحفظهم الله به من الوقوع في الفاحشة، ولم يكن بين أيديهم -من مال وإمكانيات مادية- ما يؤهلهم لبدء هذه الخطوة.

طرقوا الكثير من الأبواب.. نعم، أُغْلِقَت الكثير منها أمامهم، بل أوصِدَت في وجوههم.. نعم!! وفي النهاية لَمَّا رأى الله من قلوبهم النية الصالحة فتح لهم الأبواب، ورزقهم الله بأكثرهن بَرَكَة.

ويحدِّثك اليوم عن حياته المتكاملة، والتي تتساوى مع هذا الذي انتظر حتى يكمل استعداداته كما يَدَّعِي، فمرت عشر سنوات على زواج هذا، ومثلها على استعداد الآخر، وهاهما البيتان متساويان في الاتساع والإمكانيات مع استكمالهما ما نقص طوال هذه المدة بما يفوق ما قدَّمه الآخر عندما يتقدم، ولكنه زاد عليه بأمرين:

الأول: متعة السَّكَن والمودة والرحمة، والإعفاف، والتحصن من الفتن، والتي حُرِمَ منها الآخر طوال هذه المدة.

الثاني: هؤلاء الأولاد (صبيان وبنات) الذين اقتربت سِنُّ أكبرهم من العاشرة وأبوه لم يتجاوز الخامسة والثلاثين بعد؛ والآخر -وهو في نفس السن- يحمل الآن أول رضيع له، ويسأل الله أن يطيل في عمره حتى يُرَبِّيه.

وأعود فأقول لكم ما قاله ابن مسعود ﷺ: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، يُنْجِز لكم ما وَعَدَكُم مِنَ الغِنَى».

مقترحات عمليّةً للخروج من مأزق الإمكانيات المادية:

وإذا أحضرت ورقة وقلما، وجلست تكتب تكاليف البدء في مشروع الزواج ستجد البنود كالآتي:

[illegible]	التكاليف
[illegible]	
[illegible]	
[illegible]	
الشقة	
[illegible]	

عندما تحسب هذا الموضوع جيدًا ستجد ثلاثة أرباعه تحتاجه الشقة، ومن هنا رأينا أن أكثر ما يعوق التفكير في الزواج هو وجود الشقة وتأسيسها. وينفق الشاب حصيلة حياته في إحضار شقة، ويبدأ في التخطيط لإهلاك مدخرات أهل الفتاة في تأسيسها، ويتحول الزواج إلى حفرة مظلمة، يشعر كلُّ شاب وكلُّ اب انه مُقْدِمٌ على الوقوع فيها!!.

أقول لك:

* لماذا لا تفكر في أن تتزوج مع عائلتك إذا كان الأمر مناسباً؟ مثل أن يكون الوالدان بمفردهما مثلا، والبيت يقبل ذلك.

* لماذا لا يكون العكس؛ فتعيش في بيت أهل عروسك إذا كان الأمر مناسباً؟!

ومن النماذج العجيبة أن البنت مثلا تكون لها أم كبيرة تحتاج إلى رعايتها وتصر الفتاة والأم على أن يحضر لها الزوج شقة، وبعد أن يتزوجها فيها تأخذ زوجها لتعيش مع أمها!! فكان من الممكن اتخاذ هذا القرار منذ البداية، ويستفيدا بما أنفقاه في بداية حياتهم في مشروع يدر دخلا يعين على الحياة.

* لماذا تبدأ بشقة واسعة تكلفك الكثير، فيؤدي ذلك إلى الإرهاق المادي في التجهيز؟

* لماذا لا تبدأ بحجرة وصالة كبيرة؛ فهذا كل ما تحتاجان إليه في بداية حياتكما؟

* لماذا تجهز الكماليات والتحسينات، وتريد أن تبدأ من حيث انتهى والداك؟

* واسأل والد عروسك: أي أنواع الأجهزة الكهربائية كانت في بيته يوم أن بدأ حياته؟!

يومها ستعرف أيّ مضيق مظلم تدخل فيه.

لماذا ينحصر تفكيرك في أن تعيش في نفس المدينة التي يعيش فيها أهلك وأهل عروسك، بل وفي نفس الحي، بل وأحيانًا في نفس الشارع؟! لماذا لا تفكر في أن تترك هذه المحافظة كلها، وتنتقل إلى محافظة أخرى أو مدينة جديدة، وستجد فيها أكثر من فرصة؟ واعتبرها نوعًا من السفر المشابه للسفر إلى الخارج، ولاحظ الفرق الكبير في مصاريف المعيشة بين المحافظات الرئيسية والمحافظات الأخرى، ومثال ذلك القاهرة الكبرى أو الإسكندرية وغيرها من المحافظات.

أفكار كثيرة.. أَعْلَمُ أنها تجلب إليك الكثير من الابتسام وإن لم يكن الضحك، ولكن مع بعض التفكير وحساب الأرباح والخسائر ستجد أنها حلول عملية، أو هي خطوة على الطريق. واعلم أن البعض سيقول: أنا موافق، ولكن هل ستوافق العروس ويوافق أهلها؟ أقول لك: ابحث عمَّن توافق، فهي التي سَتُعَمِّرُ لك حياتك، وتوسِّع لَكَ دَارَكَ، وأخبرني بالنتيجة بعد عشر سنوات.

وأيًا كان الأمر، فإن إجابة الخطوة الأولى تتلخَّص في حسن استعمالك أداة (أين؟) في الخروج من مأزق الإمكانيات، والحصول على الباءة، وإلا قضيت أجمل أيام عمرك وحيدًا صائمًا، أو حُفِرَتْ لك حفرة في جهنم.

فإذا حصلت على الباءة فتعال إلى الأداة الثانية:

الخطوة الثانية: لماذا؟

- لإشباع الرغبة الجنسية.
- لتوفير مَنْ تخدمني، وترعى شئوني.
- إظهارًا للرجولة، والحصول على درجة القوامة.
- الكل يتزوج، فلماذا لا أتزوج أنا الآخر؟
- لقد وصلتُ للسن التي يجب أن ألحق فيها نفسي.
- تغيير جو، والخروج من الوحدة.
- لأني أحب فلانة، ولا سبيل إليها إلا بالزواج.
- لأن فلانة ممتازة، وقد تضيع مني.
- لأن أمي وأبي يريدان مني أن أتزوج.

هذه الإجابات ومثلها عن سؤال (لماذا تفكر الآن في الاختيار؟) لا تُعَبِّر إلا عن شخصية ناقصة الرجولة والرشد، فاقدة للأهداف السليمة، تائهة عن غاية خلق الإنسان في الحياة.

إن مراهقة القلب والعقل قد تستمر لسن كبيرة، ولذلك لا بُدَّ من التأكد من بلوغ الرشد العقلي عندما تبدأ في التفكير في الزواج، وسوف تتأكد من هذا البلوغ عندما تكون إجابتك عن هذا السؤال بواحدة أو أكثر من الإجابات التالية:

- لكي أُعِفَّ نفسي، وأحفظ حُدُودَ رَبِّي.
- أُرِيدُ أَنْ أستشعرَ تحمل مسئولية الغير.
- إن تربية الأولاد هي أولى بدايات الرجولة الحَقَّة.
- أريد السَّكَنَ والمودة والرحمة التي وعدني الله بها.
- أسعى لتكوين بيت مسلم.
- إن الله يرضى عن الرجل الذي يرحم زوجته، ويسعى في سبيل رزق أولاده.

واعلم أن الزواج عقد، وقد سَمَّاه الله تعالى ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وقد أمر الله بالوفاء بالعقود فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فكيف بالله عليك ستفي بعقد كانت شروطك فيه مهتزة غير واضحة المعالم؟! وكيف ستعمل على حفظ حقوق الطرف الآخر إذا كنت لا تراه إلا وعاء متعة أو أداة خدمة؟!

اضبط أداتك الثانية (لماذا؟) وأجب عنها بكلِّ دقة؛ فإنها النية التي هي بُوصْلَة الحياة، إمَّا نسير بها إلى السعادة، أو تهوي بنا إلى الشقاء.

ولا يفوتني أن أقول لك بعد أن تضبط بوصلتك وتُحَدِّد نيتك -كما بَيَّنَّا في المجموعة الثانية من الإجابات-: «إنه لا يعيبك الآن أن تضيف بعض الرغبات الفطرية التي فطر الله الإنسان عليها إلى إجابتك عن سؤال (لماذا؟)..

فلا حَرَجَ من حُبٍّ مَلَكَ عليك شعورك.
أو رغبة استبدَّت بك تريد أن تصرفها في الحلال.
أو وحدة شتَّتَتْ عليك نفسك تبغي جمعها على أنيس ورفيق.
أو إنسانة ترى فيها صفات حميدة فتسرع للارتباط بها

والفيصل ألا تكون هذه هي الأسباب الأساسية لعزمك على الاختيار؛ فإن العاقبة ستكون عكس ما تبغي وترتضي.

ويساعدك في ضبط الإجابة عن هذا السؤال أن تضع في اعتبارك الوصايا التالية:

١- أن يكون الزواج جزءًا من خطتك المستقبلية.

٢- أن يكون الزواج ليس هدفًا في ذاته، إنما له ما بعده.

٣- أن يكون الزواج -بالنسبة لك- جزءًا من منظومة النجاح التي تريد أن تنسجها لحياتك.

٤- أن تدرك أنه بحجم ما لديك لتعطيه للطرف الآخر سيكون لديه ما يعطيك إياه. فالنبي يرشد إلى تبادل المنفعة في الزواج بقوله: «فَهلاَّ بِكْرًا تُلاعِبُهَا وتُلاعِبُك».

أرجوك.. لا تتزوج

◎ الزواج معركة لا بد من خوضها.. قالها الشاب لنفسه وهو يتأمل أشجار الحديقة التي يجلس فيها ويقارنها بالنساء.

حسنًا، يجب اتباع ما يأتي حتى أفوز في معركتي:

- ألا تكمل دراستها فتمنحها الدراسة القوة.
- ألا تعمل مطلقًا فيصبح لها مورد مالي وتخرج عن سيطرتي وعن ذل الحاجة لي!!
- أن تصبح الزوجة الثانية سيفًا مسلطًا على رقبتها في الليل والنهار وفي الصحو والمنام.
- يجب أن تكون الكلمة الطاغية والغالبة في قاموسي هي كلمة (لا)، فإذا قلتها لم تزحزحني قوة في الأرض عنها.
- السفر والسهر والحرية والمال والقرار كلها أشياء لي ولا دخل لها فيها، وهذا أمر منتهٍ وليس لها سوى الانتظار، انتظاري في كل الأحوال!!

نظر إلى الشجرة وتأملها، وعاد يقول لنفسه:

- لأمر ما ربطوا بين المرأة والشجرة، ولهذا يجب أن تظل المرأة مربوطة كهذه الشجرة التي أمامي لا يحركها إلا أنا.

وهنا سقط قط ضخم من سور الحديقة فجأة فانتفض صاحبنا فزعًا، ووصل خفقان قلبه إلى فوق المائة في الدقيقة. فقال يُسَرِّي عن نفسه: ألم أقل إن الزواج معركة[1]؟!.

(١) عن كتاب (صور سرية للحياة الزوجية)، عبد الله الجعيثن.

أقول أنا لك: **إذا كان تفكيرك في الزواج والمرأة بهذا الشكل فأرجوك استمر كما أنت وحيداً ولا تتزوج.**

الخطوة الثالثة: مَنْ؟

احذر التراب

هل تصوَّرْتَ أن تكِدَّ وتتعب وتحفر في صخر الحياة، فإذا أنت في النهاية -عندما تظن أنك قد وصلت لكنزك الذي تبحث عنه- تفاجئ أنه ما ملأ يديك إلا التراب؟! إنها الحقيقة المؤلمة عندما يختل ميزان الاختيار بين يديك، وهذا الميزان هو حديث رسول الله ﷺ الذي جعله قاعدة للاختيار، فهل ستسترشد به؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ النِّسَاءُ لأَرْبَعَةٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».[1]

لن أحدثك عن أهمية الثلاثة الأولى الآن، ولكن إذا تنازلت عن صفة (ذات الدين) فكأنك قبضت حفنة من تراب وملأت بها يدك، وهل للتراب قيمة؟!

ولاحظ في ترتيب الصفات في الحديث، إن النبي ﷺ يعرض علينا الترتيب الذي يرتبه كل الناس (الغنية - الحسيبة - الجميلة، ثم ذات

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (الأكفاء في الدين).

الدين)، ولكنه ﷺ يعود ليضبط الموازين ويقدم ما يستحق التقديم « فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».

ولا يعني ذلك التخلي عن الصفات الأخرى، ولكن **أي صفة يمكن التنازل عنها إلا ذات الدين**؛ لأن التنازل عنها يعني أنك تتعامل مع التراب، وبذات الدين يتحول التراب إلى ذهب.

خريطة الاختيار

راجع الخريطة التالية بمحاورها الستة والتي ستعينك على تحديد صورة جيدة في ذهنك لتلك التي ستجد عندها سكينتك .

اقرأ كل محور على حدة وابدأ في كتابة مجموعة أفكار حوله (قد تعينك تلك الخطوط البسيطة التي رسمناها لك)..

والآن اقرأ ورقتك أنت فهي خريطتك الخاصة في الاختيار.

راجع الخريطة بعد مدة زمنية مناسبة

عدل بعض الخطوط..

ضع بعض الإضافات..

ارسم الملامح أكثر وضوحاً.

أنها صورة زوجة المستقبل.

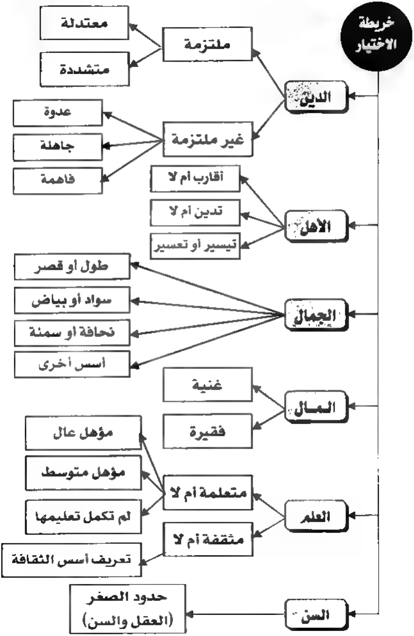
خريطة الاختيار
الدين
ملتزمة
معتدلة
متشددة
غير ملتزمة
عدوة
جاهلة
فاهمة
الأهل
أقارب أم لا
تدين أم لا
تيسير أو تعسير
الجمال
طول او قصر
سواد أو بياض
نحافة او سمنة
أسس أخرى
المال
غنية
فقيرة
العلم
متعلمة أم لا
مؤهل عال
مؤهل متوسط
لم تكمل تعليمها
مثقفة أم لا
تعريف أسس الثقافة
السن
حدود الصغر
(العقل والسن)

أولا: لماذا ذات الدين؟

- إن قيمة ذات الدين لا يساويها شيء، حتى ولو كان ذهبًا؛ بل تعلو عليه.
- إن ذات الدين تقف عند حدود الله، وتعلم أن رضا زوجها من رضا ربها.
- إن ذات الدين تقبل بقوامة زوجها عليها ورئاسته قبول الراضي بأمر ربه، المدرك لحكمته. تحفظ نفسها شرفًا وعفة وطهارة، وتحفظ كلَّ ما أمر الله به؛ مرضاة له طاعة ورضا ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[النساء:٣٤].
- إن ذات الدين تستمتع بزوجها وتمتعه، كأنها تؤدي عبادة تقرِّبها من الجنة.
- إن ذات الدين تربي أولادها، وتُعِدُّهم لطاعة ربهم؛ فتنتج أسرة صالحة وبالتالي مجتمعًا راشدًا.
- إن ذات الدين هي التي إذا نظرتَ إليها سَرَّتك، وإذا أَمَرْتَهَا أطاعتك، وإذا غِبْتَ عنها حفظتك في نفسها ومالك.

من هي؟

وتسألني متلهفًا الآن: ومَنْ هِيَ ذات الدين؟

الحياء شعبة من الإيمان

إن الحياء تاج زينة المرأة، وذات الدين يتمثل حياؤها في عِدَّة نقاط[١]:

١- تطيع ربها في ستر عورتها. وعورة المرأة جميع بدنها إلا الوجه والكفين. فبالله عليك ألا تستطيع بنظرة سريعة إلى مجموعة من الفتيات أن تتعرَّفَ أيتهنَّ ذات الدين، ثم أيتهن أكثر التزامًا بأمر دينها؟!

٢- ثم إن من الحياء -الذي هو مؤشر الإيمان- الابتعاد قدر الإمكان عن مجتمع الرجال الأجانب، والتأدب بأحكام الشرع في التعامل معهم؛ فلا لمس، ولا تهتك، ولا تبادل (نكَات).

٣- أضيفُ إلى ذلك مجموعة من المظاهر التي تدل على الدين؛ منها: خفض الصوت، وانتقاء الألفاظ، وغض البصر، بجانب ارتياد المساجد وحضور دروس العلم، ومحبة القرآن وحفظ البعض منه أو الكثير.

وتسألني عن الصلاة؟ أقول لك:

وهل بعد ذلك كله تتصور أنها لا تحافظ على الصلاة؟! لا أظن!!

---

(١) راجع للمؤلف في سلسلة (المرأة وإدارة الذات) كتاب (زينة المرأة حسن الخلق).

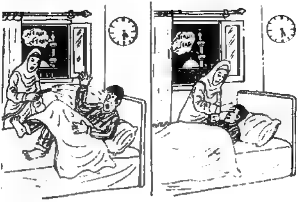

ونسألني عن الأخلاق والطِّباع.. أقول لك:

إنها أمور لا تظهر إلا بالعِشْرَة والتَّعَرُّف، ونحن في مرحلة الاختيار نعتمد على ما يظهر لنا، وما ينقله لنا الثِّقات. ولا أظن أن الأخلاقَ والطِّباع ستتجلي لك في لقاء تعارف، وحتى إذا بدا لك شيء منها في هذا اللقاء، فإنَّا نحذِّرك من الاندفاع في الحُكْم من النظرة الأولى؛ بل ولا تعتمد تمامًا على ترجيح قريب، أو شهادة صديق، أو نصيحة راغب في التوفيق. وأعتقد أن فترة الخِطْبَة ما جُعِلَتْ إلا لذلك.[١]

والآن نريد أن نعرف وجهة نظرك في التدين، فأجب عن الاستبيان التالي:

---

(١) ولنا حولها لقاء في الباب الثالث؛ فهي من أهم مراحل الزواج.

التدين من وجهة نظرك

البيان	موافق	إلى حد ما	غير موافق
١- للتدين الحقيقي تأثير سعيد على حياتي الزوجية.			
٢- التدين الحقيقي يعطي سعادة زوجية حقيقية لا شكلية.			
٣- لأن زوجتي متدينة، فأنا مستريح من ناحية سلوكياتها.			
٤- لا يكفي مجرد تدين الزوجة لتقوم بمسئولياتها، ولكن تحتاج إلى ثقافة مع السلوك.			
٥- من مصادر سعادة البيت أن أتفق مع زوجي على برنامج إيماني.			
٦- أساس اختياري لزوجتي كان الدين والخلق.			
٧- تديني يدفعني أن آمر زوجتي بصلة رحمها.			
٨- التدين مسئولية على الزوج في تفقيه زوجته بحكمة وموعظة حسنة.			
٩- شعار الزوج المتدين ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.			
١٠-الدين علمني أن المرأة في حيضها ونفاسها في حالة تسترعي شدة الرعاية.			
١١- التدين سلوك شخصي ولا أثر له على سعادتي الزوجية.			
١٢- الزوجة المتدينة صعبة.. مجادلة.. متعالة.			

البيان	موافق	إلى حد ما	غير موافق
١٣- لا بد أن ترتدي زوجتي ملابس محتشمة؛ لأن ذلك من عادات أسرتي.			
١٤- الزوجة المتدينة باردة العواطف متجاهلة جنسيا.			
١٥- الرجل المتدين لا يصحب زوجته إلى الأماكن العامة كثيرًا.			
١٦-التدين يمنعني من إظهار عواطفي النفسية أو الجنسية؛ لأن هذا يدل على الضعف.			
١٧- الدين علمنا عدم الإسراف، والمرأة تميل له، فعليَّ كرجل متدين أن أتشدد في هذا المجال.			
١٨- أرافق زوجتي عند زيارة أهلها أو غيرهم مخافة الاختلاط.			
١٩- أنا متدين وعملي التطوعي والاجتماعي يتقدم على احتياجات البيت.			
٢٠- قوامتي ودرجتي تمنعني من التباسط لدرجة الضحك مع أهل بيتي.			
مجموع الدرجات			

حساب الدرجات

الإجابة الصحيحة:

أوافق:	١ - ١٠
غير موافق:	١١- ٢٠

أعطِ لنفسك ■ درجات على كل إجابة توافق الإجابة الصحيحة:

٣ درجات على كل إجابة (إلى حد ما) من العبارات (١ – ١٠).

درجة واحدة على كل إجابة (إلى حد ما) من العبارات (١١ – ٢٠).

احسب الدرجات الآن:

أعلى من ٨٠	فهمك للتدين منضبط وعلاقاتك الزوجية راقية.
من ٦٠ إلى ٨٠	فهمك للتدين منضبط، وتطبيقات التدين على الحياة الزوجية مقبولة.
من ٥٠ إلى ٥٩	راجع فهمك للتدين؛ فهو سبب تلك العثرات في العلاقة الزوجية.
أقل من ٥٠	راجع انطباق سلوكك الديني على كلامك وتوجيهاتك؛ خاصة في الحياة الزوجية.

* * *

ثانيًا: جمالها.

لا يختلف اثنان أن جمال المرأة من أهم المرشحات لاختيارها كزوجة، وهنا أُحِبُّ أن أقف معك وقفتين:

الوقفة الأولى: ويبقى الدين.

والجَمَال يتوارى مع الحَمْلِ الأوَّل، تخيَّل تلك الرشيقة المزدهرة في شهرها السابع من الحمل، بل وبعد ولادتها، أين ذهب جمالها؟! وعندها لا يبقى إلا الخُلُق والدين.

فإيَّاك أن يبهرك شعرٌ مكشوف مسترسل، أو جسد قد بدت تضاريسه تحت ملابس كاسية عارية، أو أصابع مخضَّبة وشفاه ملوَّنة، ويلفتك ذلك عن الجمال الطاهر الذي تزيَّن بماء الوضوء، واصطبغ بزينة العَبَرَات في الخلوات، وتعطَّر بنور طاعة الله.

إياك أن تُدِيرَ رأسَكَ تلك النظراتُ المتبجِّحة والعيون المكحَّلة؛ فإن حياء المسلمة هو التنفيذ العملي لقوله تعالى: ﴿وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]

والقاعدة: تنكح المرأة (المتدينة) لجمالها.

فلا نُنْكِرُ أهمية جمال المرأة، ولكن ابحث عن الجمال بعيدًا عن كشف العورات.

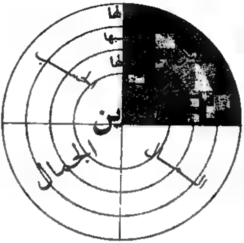

وإذا راجعت الشكل السابق ستجد أنه إذا قسمنا مجتمع البنات إلى أربعة أقسام قسم فيه ذوات الجمال والثاني فيه ذوات المال والثالث فيه ذوات الحسب والرابع فيه ذوات الدين ستجد أن كل ربع محتوى على نسبة من الثلاثة الأخرى فذوات المال فيهن المتدينة والحسيبة والجميلة وهكذا ...

فإذا أردت أن أحدد لك مكان الاختيار فإنني أشير بأصبعك إلى الدائرة الصغيرة في منتصف الدائرة الكبيرة وهي الدين في كل ربع...

الوقفة الثانية: الجمال نسبيٌّ.

وما يعجبك في واحدة قد لا يعجب آخر، ولكن أقول لك: إن مقاييس الجمال تختلف بين الشعوب، فأين -بالله عليك- سنجد لك الشقراء ذات الشعر الأصفر، خضراء العينين، حمراء الوجنتين، طويلة القامة، ممشوقة القوام، ساحرة الحديث. وهل هذه صفات المصريات؟! إلا

إذا استوردنا لك من أوربا إحداهن، وما أدراك ما إحداهن!!

هل يغضبك يا صديقي أن أقول لك: إن تركك العنان لعينيك بلا ضابط تتجول في الشاشات الفضائية والمجلات والصور قد أشعل في نفسك نارًا لا انطفاء لها. أُذَكِّرك عندما تُحَدِّد مقاييس رغباتك بقول الله - تعالى-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]

وأذكرك

عندما تحدد المقاييس أن تنظر في المرآة وتنظر إلى أختك وأمك وقريباتك، إن هذا هو مستوى الجمال فلا تشرد بك الأحلام.

لتعفني!!

أراك ترفع صوتك عاليًا مدافعًا عن نفسك -وهذا حقك- تقول: أريدها جميلة لتعفني عن الحرام. وأقول لك منبِّها: وما أدراك أن الإعفاف بجمال الوجه أو رشاقة القوام؟! فقد تتقن المرأة الأقل جمالا المتواضعة الحال فنونًا في إعفاف زوجها لا تستطيعها تلك الجميلة المتعالية بجمالها.

وقد حدثتنا الأيام والمشكلات التي استمعنا إليها عن كثير من ذلك.

إن الاستعفاف هو دفء السكن، وعطاء الود، وتنزُّل الرحمة.

ثالثًا: التكافؤ.

قال لي صاحبي المُقْدِمُ على الزواج: أظن أن موضوع التكافؤ هذا أكثر تأثيرًا على الفتاة من تأثيره على الفتى؟

فَرْدٌ آخر: أنا شخصيًّا أريدها أقل مني في كلِّ شيء؛ حتى أستطيع قيادتها.

اتسعت ابتسامتي من هذا الرأي الأخير، وقلت لهما: إن الخطأ الأساسي الذي يقع فيه كثير منكم هو ظنكم أن الزواج مجرد ارتباط فتى بفتاة، وأنه يمكن أن ينمو ويستمر بعيدًا عن جذوره.

قال لي أحدهما متعجِّبًا: جذوره، وما جذوره هذه؟ قلت له: العائلتان.

إن رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تزوَّجَ المرأةَ لجمالها لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إلا دناءَةً، ومَنْ تزوَّجها لمَالِهَا لمْ يُزِدْهُ اللهُ إلا فَقْرًا، ومَنْ تزوَّجها لحَسَبِهَا لمْ يُزِدْهُ اللهُ إلا ذُلًا، ومَنْ تزوَّجَ ليَغُضَّ بصَرَهُ، ويُحصِّنَ فرْجَهُ، ويَصِلَ رَحِمَهُ بَاركَ اللهُ لَهُ». انظروا إلى هذا الهدف الثالث للزواج في الحديث: (يَصِلَ رَحِمَهُ).

إن البيوت المسلمة ليست عبارة عن مجرد ارتباط فتى بفتاة، وإنما ارتباط وثيق بين أسرتين بكل أفرادهما، وتتعمق الأسرة بجذورها في الماضي لتطول الآباء والأجداد، وتمتد بأغصانها في المستقبل لتتشابك الذُّرِّيَّة من الأولاد والأحفاد، وتمتد بفروعها على جانبي الحياة ليتعانق

الأعمام والعمات والأخوال والخالات.

إن التكافؤ والتفاهم والتقارب بين العروسين من أفضل البيئات التي تنمو فيها هذه الشجرة المباركة؛ يغذّيها الدين، فيصبح أصلُهَا ثابتا وفرعها في السماء يصل إلى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ • سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣].

ولا أعني بالتكافؤ تلك النظرة المادية البحتة إلى المال أو التعصب الأعمى للأسر، ولكن أعني تنبيهك -أيها الصديق الكريم- إلى أنك لا تختار زوجتك فقط، وإنما تختار أمًّا لأولادك، وجدهم وجدتهم وأخوالهم وخالاتهم، وأبناء الأخوال وبناتهم.

وأنبه هنا إلى بعض النقاط الداخلة في التكافؤ:[١]

١- الدين:

فلا بد أن تكون الزوجة مكافئة لك من حيث المحافظة على حدود الدين وفرائضه وسننه والدعوة إليه. والأفضل أن تفهم فهمك لدينك، وتستوعب فكرتك وتحترمها، وتستعد للتضحية من أجلها. والأفضل أن يشاركها في ذلك كله أسرتها أو بعض أفرادها على الأقل.

٢- الشهادة الدراسية:

قد أوافق على أن تكون شهادة المرأة أقلَّ من شهادة الرجل، ولكن -

(١) فصلنا شرح الموقف الفقهي من هذه الصفات في الفصل الأول.

ومن خلال أكثر من تجربة- أفضّل أن لا تكون شهادة الرجل الدراسية أقل من شهادة المرأة. إلا أنني أعود فأقول: إن الحاصل على دراسة جامعية -خاصة هذا الطامح في استكمال دراسته- يُفَضّل أن يرتبط بِمَنْ تخرَّجت من الجامعة؛ وذلك لاحتمال التقارب الثقافي، وقدرتها على مساعدة أولادها، وإعانة زوجها، وتقدير جهده في الحصول على الدرجات العلمية، بل ودفعه إلى ذلك.

٣- الوضع الاجتماعي:

ويدخل فيه تقارب والدي العروس والعريس في المستوى الاجتماعي، وتقارب مستوى المنطقة السكنية، وأسلوب المعيشة، وطريقة إدارة الأمور، وبيئة التربية. وكم امتلأت صفحات الجرائد بالمشكلات بسبب التهاون في هذا الأمر.

٤- السِّن:

لا توجد ضوابط محدَّدة لهذا الأمر، ولكن يُفَضَّل أن يكبر الفتى الفتاةَ بحوالي من خمس إلى سبع سنوات؛ فإن النِّديَّة في التعامل في السن المتساوية، والغربة في التعامل في السن المتباعدة يؤديان إلى كثير من المتاعب. وأحذر ألف مرة من تلك العلاقات التي تنبت في الجامعة بين شباب من نفس السن قد تنتهي بالزواج فإذا مرت الأعوام وصلت المرأة لسن يقل عطاؤها فيه.. ولا يزال الرجل في قمة عطائه .. فتحدث المشكلات، بجانب كسر حاجز القوامة على البيت بسبب نضج المرأة الذي يسبق نضج الرجل.. فيطالب الرجل بقوامة ترى المرأة أنه لا يستحقها .

٥- الإمكانيات المادية:

يُفَضَّل أن يكون هناك تقارب في الإمكانيات المادية بين العائلتين،

ويضبط هذا التقاربَ التقاربُ في المستوى الاجتماعي.

إن تخطيطك للزواج من أسرة غنية وأنت فقير يضعك في مستوى نفسي أدنى من عروسك، ويرهقك في اللحاق بإمكانيات أهلها. وأذكِّرك بما قلناه عندما تحدثنا عن الأداة الأولى (متى؟) حول الباءة وإمكانيات الزواج.

والآن بعد أن استخدمت هذه الأداة المهمة (مَنْ؟) قد رتبت أمامك مجموعة الشروط التي لا بُدَّ أن تتوفر في تلك التي ستختارها كزوجة لك، وأهمها:

١- ذات الدين (الملتزمة بالزي الشرعي، المزيَّنة بالحياء).

٢- المكافِئة لك في فهمك لدينك والتزامك به، ودرجة دراستك، ومكانتك الاجتماعية، وتكافؤ الأسرتين في ذلك، والموافقة في السن.

٣- قليلة المئونة؛ حيث إنها الأكثر بركة.

٤- أن ترضى عن جمالها، وأسلوب تعاملها، وسلوكياتها الظاهرة.

والآن أنتقل إلى استعمال الأداة الرابعة.

الخطوة الرابعة: أيـــن؟

إن الزوجة الصالحة رزق كتبه الله لك، وهو آتيك بنَصِّ موعود الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ومَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ

إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢ – ٢٣].

ولا أظن أن هذا الرزق ستجده على رصيف أو محطة أو في لقاء عابر، وإنما هو البحث العاقل المدقِّق، وخاصة بعد أن استخدمت أداة (مَنْ؟) السابقة، وحَدَّدت الصفات الأساسية، والمكمِّلة للقطاع الذي ستبحث فيه.

ودوائر الاختيار متعددة، وسوف نذكر طرفًا منها هنا على سبيل المثال:

١- **الأقارب**: وهن بنات العم، وبنات الخال وأشباههن.

وتوجد اعتراضات على هذه الدائرة:

الأول: أن هناك تحذيرا طبيا من الارتباط بالأقارب، ورغم أن هذا التحذير مؤكَّدٌ في حالة التأكد من وجود مرض وراثي، وأنه ملاحظ من خلال ضعف البنية الجسدية والعقلية للذريات المتتالية من نسل الأقارب، إلا أنه ليس على إطلاقه، ويمكن اللجوء لاستشارة الطبيب والكشف العام لتأكد من سلامة مثل هذا الاختيار.

الثاني: أن التقارب في العلاقات يؤدي إلى زيجات فاترة، إلا أن هذا – أيضًا– ليس على إطلاقه، وطبيعة المجتمعات المسلمة لا تتيح العلاقات المتداخلة جدًّا.

الثالث: أن الزواج يتعرض في كثير من الأحيان إلى بعض الزوابع التي

تُعَرِّضه إلى التصدع، وبذلك لن تصبح مشكلة بيت واحد، وإنما تتداخل المشكلات مع تشابك البيوت.

ورغم كل هذه الاعتراضات فإن هذه الدائرة من أجود دوائر الاختيار؛ حيث ارتفاع معدل التكافؤ، وعبور مرحلة التعارف والتقارب، ووجود المرجعية المستمرة الراعية للعروسين؛ ممثَّلة في كبار العائلة، بجانب التساهل في كثير من المعوِّقات المادية وخاصة السكن؛ لأنه من السهولة بمكان أن يعيش الزوجان في بيت من بيوت العائلة مؤقَّتًا.

٢- المعارف:

وهي دائرة متسعة أيضًا، يَسْهُل فيها الكشف عن كثير من الصفات؛ من خلال المعارف المشتركين للطرفين؛ بل إن وجود طرف يعرف الفتى والفتاة جيدًا، ويعرف عائلتيهما يُسَهِّل كثيرًا في تحديد الطباع المشتركة، وبيان المُرَجِّحَات لنجاح مثل هذا الارتباط. وتشمل المعارف: الجيران، وأصدقاء الأخوة والأخوات، وأصدقاء الوالدين، وغيرهم.

٣- الأماكن العامة:

مثل أماكن العمل أو النوادي أو تجمعات العمل الاجتماعي المشترك أو الجامعة وأماكن الدراسة وغيرها، وهي دائرة -رغم اتساعها الظاهر- ضيقة؛ لأن نسبة التكلف تكون عالية جدًّا فيها، مِمَّا يُصَعِّبُ عملية تحديد الصفات، بل ويؤدي الاحتكاك المستمر إلى سوء التفاهم.

***

والدعـــــاء:

هذه أمثلة لدوائر الاختيار، والدوائر كثيرة، وعليك أن تنوي ثم تبدأ في وضع مواصفات مَنْ ترغب فيها، وَأُحِبُّ أن أَقُصَّ عليك تجربتين في الاختيار.

التجربة الأولى: تجربة نبي الله موسى عليه السلام.

وصل إلى مدين طريدًا فقيرًا منهكًا، آوى إلى الظل، ورفع يده إلى الله سائلا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤] فإذا به يُخَيَّر بين زوجتين بعد آيتين: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] فدعاء موسى فيه سر عظيم، فعليك الالتزام به في مرحلة الاختيار.

والتجربة الثانية: تجربتي الشخصية، بل تجربة الكثير ممَّن أعرفهم.

عندما بدأت في مرحلة الاختيار نصحني صديق لي بنصيحتين:

أن أخبر كلَّ مَنْ أحب وأعلم أنه يحبني برغبتي في اختيار زوجة، ومواصفات مَنْ أرغب فيها.

أن ألتزم في كلِّ سجدة من سجداتي بمثل هذا الدعاء: «اللهم ارزقني زوجة صالحة، تعينني على أمر ديني ودنياي». والتزمت، واتسعت دائرة الاختيار، ورزقني الله الخير.

والآن، وبعد أن استخدمت أداة (أين؟) جيدًا، واستخدمت الأدوات الثلاث التي تسبقها، يمكنك الآن أن تستخدم آخر الأدوات.

الخطوة الخامسة: كيف؟

حتى تجيد استخدام هذه الأداة في الاختيار الجيد عليك بتنفيذ هذه الإرشادات:

١- أن تراجع نِيَّتك جيدًا؛ بأنك عاقد العزم على اختيار زوجة وليس مجرد نوع من مجاراة الآخرين.

٢- أن تتقي الله، وترفع مستوى العلاقة معه سبحانه، وتعمل على تثبيت عوامل الصلاح داخلك؛ لأن الله يرزق كلا على شاكلته.. ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]

٣- أن لا تُقدِم على رؤية فتاة إلا بعد أن تفرغ تمامًا مِنَ التي قبلها، ولا ترى أكثر من واحدة في وقت واحد وتختار بينهن؛ فإني أخاف عليك الشيطان ومداخله.

وتتدرج خطوات استخدام أداة كيف هذه كالآتي:

أولا: الاستشارة.. فما خاب من استشار.

والأمر على شقين: إما عروسة عن طريق طرف آخر، وإما رأيتها بنفسك أو تعرفت عليها. فعليك أن تستشير الأمين العدلَ. وأن تصْدُقَ في عرض الأمر عليه بالكامل. وأن تخلص بينك وبين نفسك في تقبُّل نصحه.

ولا تنس أن الوالدين والأخوات هم أقرب الناس إليك، فاعرض عليهم الأمر بصدق ووضوح، واستمع إليهم بإخلاص وتنبه وإياك من صديق يحب أن يرضيك أو [illegible] قد ترديك

ثانيًا: التأكد.

من المواصفات التي عُرِضَت عليك، وهل هي موافقة لِمَا تريد أم لا؟ والتأكد أيضًا من معدل التكافؤ بينكما، والسؤال عن الوالدين والعائلة؛ لمعرفة مستوى التدين فهمًا وعملا ودعوة، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وغيره.

ثالثًا: الرؤية:

عَنِ الْمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «انظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَينَكُمَا». [1] وهذا الأمر اختلف في حدوده الكثيرون؛ فمنهم من قال: يراها متربِّصًا لينظر إلى الهيئة العامة لها. ومنهم من قال: إن حديث الرسول ﷺ قد جعل الحكمة من الرؤية أن يؤدم بينهما، فكيف يؤدم بينهما من مجرد نظرة عابرة؟! وثالث يقول: لا بُدَّ أن تعلم أنه سيراها لتتهيَّأ لذلك. ورابع يرفض ذلك على أية حال حتى لا يجرح مشاعر الفتاة إذا لم تعجبه.

وكلها آراء طيبة تسعى إلى الخير، وكلها أمور تمت في عهد النبي ﷺ، وكلها تتم في عصرنا الحالي، وكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له. وتحديد الأسلوب يتوقف على كلِّ فرد على حِدَة ولكن مع توفر نية الارتباط.

وأحب أن أنبِّه أن هذا كله ينطوي تحت مرحلة ما قبل الخِطْبَة؛ فإن رؤية المخطوبة وتعارف المخطوبين وتقاربهما في مرحلة الخطبة يحدد الكثير

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (ما جاء في النظر إلى المخطوبة).

من ملامح قرارهما الأخير في إتمام العقد أم لا، وهو موضوع آخر قد نرجع إليه بعد ذلك، أما هنا فإننا في مرحلة الاختيار المبدئي.(١)

وأعجب من فتى يغض بصره في هذا الموقف، ثم يسألك: هل هي سمراء أم بيضاء؟ هل ترتدي نظارة أم لا؟ والرسول ﷺ يقول: «انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا» وهذا يرفع الحظر، ويلغي غض البصر في هذا الموقف.

رابعًا: الاستخارة.

بعد تحديد المواصفات، وتوسيع دائرة الاختيار، والدعاء لاستجلاب عون الله ورزقه، ثم استشارة أهل الأمانة والعدل، والتأكُّد من المواصفات، ومعدل التكافؤ، والرؤية النافية للجهالة، أصبحت المعلومات المتوفِّرة لديك معينًا جيدًا على الاختيار، ولكن خاب مَنْ سار في الحياة وحده دون معونة الله.

ولذلك يعلِّمنا رسول الله ﷺ أسلوبًا جيدًا لعرض أمورنا على ربنا، هو (صلاة الاستخارة)، ودعاؤها: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ

(١) سيتم تناول موضوع الرؤية بالتفصيل في مرحلة الخطبة فقهيًا وعمليًا في الباب الثالث إن شاء الله.

قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي. قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».(١)

واعلم أن هذه الصلاة دعاء من الله بالتوفيق في سيرك، ويظهر أثره في إقدامك القلبي والنفسي على الموضوع، ثم الاستمرار في خطواته واحدة بعد الأخرى، والانشراح الصدري عند كلِّ خطوة، والرغبة في عدم انقطاعه، ثم إتمامه بالخير. وإذا حدث أي معوق في هذه المراحل فإننا نحمد الله على استخارته، ونسأله أن يبدلنا خيرًا ويرضينا به.(٢)

وَفَّقَكَ الله يا صديقي لكلّ خير، ورزقك زوجة تسعدك، وتعينك على إرضاء ربك.

(١) رواه البخاري، كتاب (الدعاء)، باب (الدعاء عند الاستخارة).

(٢) ما يرويه كثير من الناس عن أهمية رؤية رؤيا تبين لهم الاستمرار أو التوقف بعد دعاء الاستخارة ليس له أي مصدر يؤكده، فالأمر كما قلنا: دعاء نسأل فيه الله إذا استمر الأمر أن يوفقه، وإذا انقطع أن يرضينا بخير منه.

الفصل الثاني

كيف تختارين زوجا يكرمك ؟

حامل المسك:

لا يـدور سـؤال (كيـف تختـارين زوجًا يكرمك؟) في ذهن الفتاة في فترة محددة من فـترات عمرهـا. ولكـن لأن فطـرة الله الـتي فطـر النـاس عليهـا أن جعل ارتباطا بين الرجل والمـرأة، فـإن هذا السؤال قد يكـون لعبـة في طفولـة البنـت، وقـد يكـون نوعـا مـن أنـواع النمـو والتطـور في مراهقتهـا، ولكـن عنـدما تبـدأ في الـدخول إلى أبـواب الرشد يصبح سـؤالا ملحًـا بـل وهمًـا تحمله في قلبها وعقلها: أن تعلم كيـف تختار زوجًا، ليس زوجًـا فقـط ولكـن زوجا يكرمها؟.

نبدأ بحديث النبي ﷺ الذي أظن أن له علاقة بالموضوع.. عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».(1)

إنها رحلة العمر، وهو رفيق هذه الرحلة، وأرى حَالَكُمَا ينطبق عليه ذلك الحديث. ولذلك لا بُدَّ من التدقيق في هذه المرحلة من مراحل العمر. واعلمي أنه أهم قرار تتخذينه في حياتك؛ بل هو الأهم على الإطلاق.

مَنْ هذا الرفيق الذي سيشاركك رحلة الحياة؟

مَنْ هذا الجليس الذي سيُهديك مِنْ عِطْرِه؟

مَنْ هذا الزوج الذي ستفجَّر عند أعتابه ينابيع حبك الفياض؟

من هذا الصدر الذي ستتخلصين فوقه من بقايا أحزان الأيام؟

مَنْ هذا الرجل الذي سينعم بزهور أنوثتك النَّدِيَّة؟

مَنْ هذا المستشار الذي سيضيء لكِ مصابيح الهدى في دروب حياتك؟

(١) رواه مسلم، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء).

مَنْ هذا القوَّام الذي ستسلمينه رايتك، وتبايعينه على قيادة سفينة حياتك؟

مَنْ هذا الحادي الأمين الذي سيحدو بركبك بنشيد الهُدَى حتى تصلا معًا إلى الغاية؟ إلى ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

كيف تختارين حامل المسك الذي يلازمك حياتك كلها فلا تجدي منه إلا ريحًا طيبًا أو يعطيك من مسكه وطيبه وعطره؟ فأنت لا تختارين مجرد زوج ولكن تختارين ذلك الذي تكون علاقتك معه في الحياة كلها خيرا. وإذا أخطأتِ أو أسئتي في الاختيار وإذا لم تتعلمي فعلا كيف تختارين، فيكون البديل لحامل المسك نافخ الكير، نافخ الكير الذي عرفنا ما يعطي؛ إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجدي منه ريحًا خبيثة.

ولذلك أريد أن أعيد السؤال: لقد اكتشفت أنك لا تختارين مجرد رجل لكن هناك مجموعة من الملامح الأساسية التي لا بد أن تعرفيها عندما يتقدم لك أي شاب يريد أن يرتبط بك، فعن أي شيء تبحثين؟ هل تبحثين عن مجرد رجل أم تبحثين عن رجل غني؟ أتبحثين عن رجل وسيم أم تبحثين عن رجل متدين؟

في البداية، الأمر يحتاج منك إلى تفكير أطول لتعرفي:

ما هو الزوج في القرآن الكريم؟

لقد ذكر الله تعالى ثلاث كلمات؛ ذَكَر ورجل وزوج، ما الفرق بينها؟ هل هي مترادفات لمعنى واحد؟

لما أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يبين النوع يتحدث عن الذكورة - وهناك فرق بين الذكورة والرجولة- يقول تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، فعندما يتحدث عن النوع يذكر الذكورة.

ولكن الرجولة شيء آخر؛ فعندما أراد الله -سبحانه وتعالى- أن يذكر الرجولة ذكرها في مواقع العطاء..

- نجد الرجل ذلك الذي يقف مع الأنبياء ويدافع عنهم، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].
- والرجل الذي يقف مع نبي الله موسى، ويبين له أن هناك مشكلة سوف تحدث له: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠].
- وفي المساجد: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ﴾ [النور: ٣٧].
- وهذه صفات الرجال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

وفي موقف الجهاد وموقف البذل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فالرجولة صفات وليست بيانا للنوع ولا بيانا للصنف، ولكنها خصائص إذا اكتسبها الذكر أصبح رجلا.

أما الزوج فهو أمر آخر، فعندما يطلق على الرجل لفظ زوج فإن هذا يعني بيان للعلاقة مع الطرف الآخر، علاقة تبدو فيها الخصائص وتتميز في أعلى مستوياتها، ولذلك جعل الله القيادة في يد الرجال﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء:٣٤].

إن حسن الاختيار هو البوابة الأولى التي تدخلين منها: إمَّا إلى إكرام ومودة ورحمة الرجل، أو إلى هاوية الذّكَر وقرونه.

أدوات الاختيار

وأحب أن أضع بين يديكِ خمس أدوات للاختيار، وأدربكِ على طرق استخدامها؛ لتصلي لأفضل النتائج، هذه الأدوات الخمس هي:

١- متى؟

٢- لماذا؟

٣- مَن؟

٤- أين؟

٥- كيف؟

الخطوة الأولى: متى؟

منذ أن تعرف الأم أنها أنجبت فتاة تفكِّر أول ما تفكر لها في عريس المستقبل. وعلى مدارج الحياة، وعند كل مدرجة تكون الطرفة والمداعبة حول العريس، حتى تحمر الوَجنَات عند ذِكْرِ هذا الأمر، ويصبح من العيب الإفصاح عنه بعد أن تبلغ الفتاة الحُلُم، على الرغم من أنه الأمر المُلِحُّ والمسيطر على الفِكْرِ في الحقيقة.

وتتحدث أمك بزهو:

لقد تقدم لابنتى أكثر من عشرة خُطَّاب.

نعم، وأكثر من ذلك ولا زالت سنك لم تتجاوز الخامسة عشرة.

ولكن لأنه أمر متعلق بمستقبلك أنتِ، وبحياتك أنتِ، وبرحلة عمرك أنتِ فاسألي نفسك هذا السؤال:

متى تبدئين التفكير الجاد في اتخاذ قرار اختيار أحد المتقدِّمين؟

هل عند سن الخامسة عشرة، أم الثامنة عشرة، أم فوق العشرين؟

هل بعد الانتهاء من الدراسة المتوسطة أم الجامعية أم بعد الدراسات العليا؟

والإجابة عن ذلك تختلف من حالة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، ولكن هناك مجموعة من الضوابط لا بُدَّ مِنْ وَضْعِهَا في الاعتبار:

١- كُلَّمَا صَغُرَت سنك كانت فرصتك في اتخاذ القرار النابع من اختيارك أقل، وغالبًا ما يكون رأي الآخرين هو النافذ.

٢- المرحلة السِّنيَّة قبل الثامنة عشرة هي مرحلة نمو في جميع أجهزة الجسم، بالإضافة إلى النمو العقلي والمعرفي، ولذلك فإنه تنقصكِ الكثير من المعارف التي ستعينك على الاختيار.

٣- ببلوغك سن الثامنة عشرة تكونين قد أنهيتِ مرحلة التعليم المتوسطة، وتحددت ملامح حياتك العملية، وبذلك تتكوَّن لديكِ صورة مناسبة للشكل الذي ترغبين أن تكون عليه حياتك الاجتماعية والأسرية.

٤- ما بعد الثامنة عشرة تتجمع لديكِ مؤهلات غير الشكل والمال والوضع الاجتماعي؛ مثل: الالتزام الديني، وتحديد الهدف من الحياة، واكتمال الثقافة الذاتية والجامعية، مِمَّا يعينك على تحديد الصفات الخاصة بك التي تريدينها في شريك حياتك.

٥- وإذا قررتِ أن يكون الاختيار قبل الثامنة عشرة عامًا، فغالبًا سيتقدم لكِ -إذا كنتِ أصغر من ذلك- شاب في مقتبل عمره وبداية حياته العملية، وهذا يكون غير مستعد للبناء (الدخلة) إلا بعد فترة طويلة، مما سيطيل فترة الارتباط قبل الزواج؛ من خِطْبَة وعقد الزواج، وذلك من الأمور غير المرغوب فيها دينيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا.

٦- إذا تقدم لكِ شاب جاهز ماديًّا فسيكون الفارق الزمني بين

عمريكما طويلا، أو سيكون معتمدًا اعتمادًا كليًّا على والديه، مما يجعله غير مؤهل لبناء بيته بنفسه، ويعتمد في ذلك على الغير، وهذه من العيوب القَادِحَة في الرجال.

ومن خلال ذلك كله يتضح أننا نُحَبِّذُ أن يبدأ التفكير في قرار اختيار زوج بعد انتهاء مرحلة التعليم المتوسطة (الثانوية وما يعادلها)، أو بلوغ سن الثامنة عشرة. ولا يعني ذلك أننا نرفض أو ننهى عن الارتباط قبل هذه السن، فهو ليس ممنوعًا شرعًا، وقد تكون الظروف مهيّأة لنجاح مثل هذا الارتباط.

ولا يعني أيضًا أن تؤجلي قرار التفكير في هذا الأمر تمامًا إلى ما بعد الانتهاء من الدراسة الجامعية أو لسن معينة، فكل هذا يخضع للظروف. ولكنْ أردتُ فقط أن أضع بعض المحاذير أمام مَنْ تفكر في الارتباط في سن صغيرة، وعليها أن تتخطاها لينجح قرار الاختيار.

دموع الندم

جلست أمامي باكية بعد زواج دام أكثر من عشر سنوات، وأثمر أولادًا وبنات. وأخذت تقص مأساة تحملها لزوج لم يراع فيها (إلاًّ ولا ذمة)، وإذا بي أنظر إلى أخيها الجالس غير مبال..

فقال يجيب عن سؤال توقعه مني: هي المسئولة، كم حاولنا أن ننثنيها عن اختياره فأصرت عليه، فلتتحمل نتيجة إصرارها.

نظرت بعين يملؤها العتاب والندم والألم وقالت:

- يا دكتور، كيف تستطيع بنت السادسة عشر أن تختار وأن تتحمل نتيجة اختيارها؟!

لماذا لم يغضبوا عليَّ ... ويقفوا أمام تهوري ؟

الخطوة الثانية: لماذا؟

لأن العريس فرح وفستان وبيت جديد.

لأن العريس يخلصني من تحكم أبي، وعُقَد أخي، وسيطرة أمي.

لأن كل صديقاتي ارتبطن، وأصبحتُ مُحْرَجَة.

لأن البنت يجب أن تتزوج.

لأن هناك عريسا (لُقْطَة)، وأخاف أن أخسره.

لأني أحب فلانا، ولا سبيل إلاَّ أنْ يتقدَّم لخطبتي.

لأنه ابن عمي أو ابن خالي، وأنا له وهو لي منذ الصِّغَر.

هل هذه إجاباتك عن سؤال لماذا تختارين زوجًا؟

إذا كانت هذه إجاباتك أو واحدة منها أو أكثر فاعلمي أن قرارك في الاختيار ناتج عن عقلية غير ناضجة، وأن عقلك وقلبك لا زالا في مرحلة المراهقة العاطفية أو النفسية، وأن الزواج كمسئولية وكرحلة عمر غير واضح تمامًا في تفكيرك.

واعلمي أن النتيجة المتوقعة لمثل هذا الاختيار إمَّا الفشل وإما عدم الاستقرار أو عدم الاستمرار؛ لأن كل هذه الأسباب ردود أفعال وليست أسبابًا أساسية دافعة للارتباط الوثيق. وأذكِّركِ بأن الله -تعالى- سَمَّى عقد الزواج ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وأَمَرَكِ أن تفي بالعقود؛ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]

فكيف بالله عليكِ ستفين بعقد ناتج عن رَدِّ فعل انفعالي أو عاطفي؟ ومن أين ستأتيك القوة لتفي بعقد ناتج عن نزوة إعجاب بشكل أو عاطفة حب غير مدروسة، أو بمجرد التشبه بالأخريات؟!

أعود فأقول لكِ:

أجيبي عن هذا السؤال: لماذا بدأت في اختيار زوج الآن؟

وهل إجابتك واحدة من الإجابات التالية؟

لأن الزواج نعمة من الله وسَكَن.

لأني بالزواج سأحقق الكثير من أهدافي في الدنيا والآخرة.

لأن الزواج حِصْنٌ أحتمي به من الفتنة.

لأن الذرية الصالحة، وحسن معاملة الزوج طريق إلى الجنة.

لأن الأمومة وتربية الجيل الصالح أشرف المهام التي أوكلها الله بالإنسان.

إذا كانت إجابتك واحدة أو أكثر من هذه الإجابات السابقة، فقد وضعتِ أقدامك على أولى درجات النجاح في الحياة الزوجية، فتقدمي معي خطوات.

وقبل أن أنتقل بك إلى الخطوة التالية أهمس في أذنك: لا يمنع أن تضيفي إلى هذه الإجابات بعض الإجابات التي وردت في بداية هذه الخطوة، والتي تتناسب مع الفطرة السليمة التي خلق الله البنت عليها، ولا تتعارض مع الأعراف والتقاليد التي نحترمها، أو تتخطى حدود ما أنزل الله. فلا عيب بعد ذلك في قريب أو حبيب أو فرح أو فستان أو زينة أو رغبة في الاستقلال؛ فإنها أمور تأتي تابعة للغايات الكبرى، وليست أهدافًا أو غايات للزواج في ذاتها.

الخطوة الثالثة: مَنْ؟

مع حُمْرَة الخجل التي تتسلل إلى وجنتيك عند الإجابة عن مثل هذا السؤال أرى أوراق الورد تتطاير في خيالك؛ لترسم صورة لفارس الأحلام. وغالبًا ما تحتوي الصورة على الخطوط العامة التي قد تتواجد في

أكثر مِنْ مُتَقَدِّم. فما المرشحات التي من خلالها يتم استبعاد البعض، حتى تصلي في النهاية إلى الأفضل والأنسب لكِ؟

أقول لكِ: -وباختصار شديد- هناك حديث لرسول الله ﷺ (اجعليه حلقة في ودنك) كما قالت جدتي لأمي..

عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ.[١]

وقبل أن نُطَبِّقَ معًا هذا الحديث كمرشد أساسي للإجابة عن سؤال من تختارين؟ أحب أن أسوق إليك هذه الحكاية التي تعتبر دليلا على ما نقول.

جاء رجل إلى الحسن بن علي -رضي الله عنهما- يستشيره، فقال: خطب ابنتي جماعة، فمن أزوِّجها؟ فقال له الحسن: زَوِّجْهَا مَنْ يتقي الله؛ فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

فلتجعلي إجابتك عن هذا السؤال إذا سألناكِ: من تختارين؟ أن تقولي: **الذي يكرمني.**

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح)، باب (ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه). وإن كان فيه: أي من الصفات الأخرى غير المرغوب فيها من الفقر أو غيره.

فمن هو؟

تعالي نستخدم حديث النبي ﷺ كميزان، ولكن قبل أن نبدأ عليكِ أن تتذكري هذه القاعدة الذهبية

(عند الميزان لا بُدَّ من التوازن بين العقل والقلب).

أولا: من ترضون دينه:

هناك مجموعة من الصفات تتناثر مع أوراق الورد إلى الخيال؛ إنها أمنيات حلوة، ولا عيب في روعة الأمنيات؛ هناك المال، والوضع الاجتماعي، والمكانة العلمية، والتدين، واللباقة، و(الشّياكة)، والعائلة.

وحديث الرسول ﷺ يقول: إذا جاءكم مَنْ ترضون دينه وأمانته، وفي رواية: دينه وخلقه. والرضا بهذه الصفات لا يتم في مجرد لقاء تعارف أو ترجيح قريب، أو شهادة صديقة، ولكنها المعاملة والاحتكاك، التي أظن أن مرحلة الخطبة التي تلي الاختيار ما جُعِلَتْ إلا لذلك، ولكن سنضع هنا قاعدة عامة تبدئين بها الاختيار؛ وهي: يمكن أن تتنازلي عن أي صفة إلا صفة ﴿الْمُصَلِّينَ ❁ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢- ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤]، وإياك إياك مِمَّن قال الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ❁ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥] فإن من استسهل أن يسهو عن حق الله سهل عليه أن تضيع حقوق العباد عنده.. فاحذري حتى لا تضيعي.

والآن نريد أن نتعرف على معنى التدين من وجهة نظرك، فأجيبي عن الاستبيان التالي:

تدين الزوج من وجهة نظرك

هل ستكون هذه عباراتك إذا اخترت زوجاً متديناً؟

البيـــــــان	أوافق	إلى حد ما	لا أوافق
١- الزوج المتدين لا ينطوي قلبه على هوى أو نزعة شريرة			
٢- تدين الزوج يصبغ البيت بالتدين ويولد السعادة الحقيقية			
٣- اثق أن زوجي لن يظلمني أو يخونني؛ لأنه متدين			
٤- قد يخطئ زوجي المتدين ولكنه لا يصر على خطئه			
٥- كان شرطي الأساسي عند الاختيار التدين والصلاح			
٦- نحن متفاهمون دينيا، وهذا هو سبب تعاوننا على إسعاد البيت			
٧- في حياتنا مودة وإشباع؛ لأن التدين يهذب السلوك العاطفي والجنسي			
٨- لن ينقل لي زوجي أي مرض جنسي لأنه متدين			
٩- لأنه متدين فإنه يعطينا كل الحقوق حتى في الإجازات والنزهات			
١٠- لا علاقة بين تدين زوجي وبين سعادتنا الزوجية؛ فهذا أمر شخصي			
١١- إن زوجي المتدين دائمًا عصبي، مجادل، يصعب التفاهم معه			
١٢- أرتدي الملابس المحتشمة؛ لأن زوجي متدين			
١٣- يهتم زوجي المتدين بالجنس، ويتشكك إذا أهتممت بثقافتي الجنسية			
١٤- الزوج المتدين ينفر من زوجته في فترة الحيض والنفاس			
١٥- طبيعي أن ينشغل الزوج المتدين عن بيته في أعماله التطوعية والاجتماعية			

البيـــــــان	أوافق	إلى حد ما	لا أوافق
١٦- إن زوجي متدين؛ لأنه يخاف أن يكون من المبذرين			
١٧- يحق للزوج المتدين أن يمنع زوجته من زيارة أهلها؛ منعًا للاختلاط			
١٨- يجب أن يقدر زوجي انشغالي عن البيت بمسئولياتي التطوعية؛ فأنا متدينة			
١٩- تخجل الزوجة من المصارحة الجنسية مع زوجها المتدين مما يفقدها الكثير من الإشباع			

حساب الدرجات

الإجابة الصحيحة: **أوافق** | **من ١ إلى ١٠** | **لا أوافق** | **من ١١ إلى ١٩** |

إعط لنفسك:

٥ درجات على كل إجابة توافق الإجابة الصحيحة

٣ درجات على كل إجابة (إلى حد ما) من العبارات (١ - ١٠)

درجة واحدة على كل إجابة (إلى حد ما) من العبارات (١١ - ٢٠)

النتائج

أعلى من ٨٠	**فهمك للتدين منضبط (علاقتك الزوجية راقية).**
٦٠ - ٨٠	**فهمك للتدين منضبط (تطبيقات التدين على الحياة الزوجية مقبول).**
٥٠ - ٥٩	**راجعي فهمك للتدين؛ فهو سبب تلك العثرات في العلاقة الزوجية.**
أقل من ٥٠	**راجعي انطباق سلوكك الديني على كلامك وتوجيهاتك؛ خاصة في الحياة الزوجية.**

ثانيًا: التكافؤ.

في المراحل الأولى من الحياة تعلو مجموعة من القيم في النفس، وتشعر بعض الفتيات بالزهو عندما تقاوم أسرتها في سبيل الموافقة على عريس يرفضونه بسبب عدم التكافؤ، مع أن هذا الأمر مشار إليه في ديننا؛ حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «لأمنعن زواج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء».

و(بريدة) تَرُدُّ شفاعة النبي ﷺ بأدب عندما يطالبها بأن تعود إلى زوجها (مغيث) الذي يحبها، ولكنها أصبحت حرة، وهو لا زال عبدًا، وليس بكفء لها.

وكثير من المشكلات التي تحدث في البيوت -والتي حضرتها بنفسي- سببها خلل في التكافؤ بين الزوجين، وحتى لا يكون هذا الأمر محل خلاف مع الوالدين عندما يتقدم أحد لخطبتكِ عليكِ أن تحسميه مع الأسرة، ويمكن أن يكون الحوار صريحًا مع الأم لوضع النقاط على الحروف. وَأُفَضِّل أن يكون مع الأب؛ حيث إنه الشريك الأساسي لكِ في عملية الاختيار.

وإن كانت أهم مفردات التكافؤ عند كثير من الأسر هي المال والعائلة، فإن هناك مفردات أخرى أُحِبُّ أن أُذَكِّرَ بها[1]:

أ- الدين:

فلا بُدَّ أن يكون مكافئًا لكِ في دينك؛ من حيث المحافظة على حدوده

---

(١) فصلنا الرأي الفقهي حول هذه النقاط في الفصل الأول.

وسننه، والدعوة إليه، وحفظ القرآن، وحضور مجالس العلم، ومن الأفضل أن يكون أفضل منك في ذلك. ويدخل أيضًا في ذلك مستوى تدين عائلته.

ب- الشهادة الدراسية:

من خلال عشرات الحوادث في البيوت التي انتهت أغلبها بالانفصال كانت شهادة الزوجة العلمية – التي هي أعلى من شهادة الرجل- هي الجرثومة الخفية وراء حساسية الرجل لكل كلمة من

زوجته. فأفضل أن تكون الشهادات متساوية، وإن كانت شهادته هو أعلى فلا ضير، والعكس ترفضه التجربة.

ج- الوضع الاجتماعي.

ويدخل فيه تقارب مكانة الوالدين، وتقارب مستوى المناطق السكنية، وأسلوب المعيشة.

ولا تنسي أنك تختارين جدَّ أولادك وأعمامهم وعماتهم.

د- السن.

لا توجد ضوابط لهذا الأمر، إلا أنه عمومًا يفضَّل أن يكبر الفتى الفتاة بما لا يقل عن خمس سنوات ولا يزيد عن سبعة؛ فإن النِّدِّيَّة في التعامل في السن المتساوية أو الغربة في التعامل في السن المتباعدة يؤديان إلى كثير من المتاعب.

هـ- الإمكانيات المادية.

في كثير من الأحيان يسبب العريس الغني إرهاقًا لأسرة أقل منه غنى، وفي الوقت نفسه لم ينكر النبي ﷺ أهمية الاستعداد المادي بالحد الأدنى لتكاليف الزواج، والتي سمَّاها النبي ﷺ الباءة، فقال: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».(١)

أقول لك: **إن كثيرًا من الكرام ضاقت عليهم سبل الرزق، وكثير من اللئام ستروا عورات لؤمهم ببعض أوراق المال.. فاحذري.**

(١) رواه البخاري، كتاب (الصوم)، باب (الصوم لمن خاف على نفسه العزبة).

واعلمي أن هذا الأمر كان موضع اهتمام وإشارة في القرآن الكريم؛ يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

فعندما يوجد الصلاح فلا يعوق الاختيارَ فقر، واعلمي -أيضًا- أن الإمكانيات مهما عَظُمَتْ تتحطم أمام فيضان الطلبات المُرْهِقَة، فكوني من أهل البركة اللاتي قال النبي ﷺ فيهن: «أَكْثَرُهُنَّ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً».

الباءة

سألنا أستاذًا لنا يومًا عن معنى الباءة؟ فابتسم وقال: الباءة هي الشقة. ورغم طرافة الإجابة فإنها تعبر في الواقع عن كثير من الحقيقة؛ فإن العقبة الكئود أمام كلِّ شاب يتقدم للزواج الحصول على شقة، ثم تضيفين أنتِ إلى هذه العقبة شرطًا؛ أن تكون الشقة في مكان كذا، وأن تكون مساحتها كذا وكذا. مع أن هناك حلولا كثيرة لمثل هذه المشكلة، لو اتسع أفق أطراف الموضوع من الجانبين لأصبحت من أسهل المشكلات حلا.

وأقدِّمُ -على سبيل المثال- بعض الأفكار، وأعلم أنها ستلقى اعتراضًا كبيرًا، إلا أنني أُقِرُّ وأعترف أنها تحتاج إلى كثير من التعقل والحكمة وتحمل المسئولية، والشجاعة لتنفيذها..

١- لماذا لا تَعيشِينَ مع أسرته في شقتهم إذا كان الأمر متاحًا؟!

٢- لماذا لا يعيش مع أسرتك في شقتكم إذا كان الأمر متاحًا؟!

٣- لماذا لا تبدآن حياتكما بحجرة واحدة وصالة واسعة؟

٤- لماذا لا تضعان هدفًا من أهداف حياتكم الانتقال إلى محافظة أخرى أكثر هدوءًا، ومحاولة البحث عن عمل هناك، وأن تعتبراها مرحلة مثل مراحل السفر إلى دولة أخرى.

هذه كلها أفكار لمحاولة الهروب من مأزق الشقة التمليك، التي تتكوَّن على الأقل من مئة متر، والتي تشكِّلُ عقبة يفضِّل الشاب معها صوم الدهر على أن يعبرها.

وأعلم أن الأمر لا يتعلق بكِ وحدكِ، ولكن ببعض التبسُّط وتقوى الله، ومعرفة حجم مسئولية تأخر سن الفتيان والفتيات دون زواج يمكن إقناع الكثيرين بهذه الأفكار الجريئة.

ولا يعني ذكر هذه البنود الالتزام الكامل بها، ولكنها نقاط تضعينها بين يدي العائلة، يتحدد من خلالها ما يمكنكِ أن تتنازلي عنه وما يستحيل التنازل عنه؛ لتصلوا إلى اتفاق مبدئي لا يحرج أحدًا يتقدم، ولا يضعكم في اختيارات تولِّد الصراع.

ثالثا: المظهر الخارجي.

لا أختلف معكِ أن وسامة العريس مؤهِّل جيد له، مع لباقته وأسلوب تناوله للأمور. ولكن لا تجعلي المظاهر تخفي عنك كثيرًا من الأمور، وتذكري هذه الحكمة:

> وَيلٌ لِبَرْقٍ لَمَعَ، فَغَشَى نَاظِرِي عَنِ السيول.

والآن بعد أن وضعتِ لنفسكِ مجموعة من الشروط عند الاختيار، وأهمها:

١- أن يكون من المصلِّين.

٢- أن يكون مكافئًا لكِ في دينك، ودرجتك الدراسية، والمكانة الاجتماعية، والسن.

٣- أن تتوفر لديه الباءة (تكاليف الزواج).

٤- أن ترضين عن مظهره الخارجي، وأسلوب تعامله، وطريقة حواره.

من هو زوج المستقبل؟

بيان	أوافق	لا أوافق
١- التدين شرطي الأساسي والوحيد عند الاختيار		
٢- الجمال جمال الروح .. والمهم أنه يعجبني		
٣- عندنا أمل في الله، والبدايات المادية البسيطة دائمًا مشرقة		
٤- التكافؤ مطلوب، لذلك لا بد أن يكون مستوى التعليم والوضع الاجتماعي متقاربا		
٥- المستوى الاجتماعي والمنصب العلمي مقاييس جاهلية أصلها التفاخر ولا أنظر إليها		
٦- الأخلاق عملة نادرة أبحث عنها، وأدعو الله أن يوفقني		
٧- الاختيار اختياري أنا فقط، وأنا المسئولة عنه.		
٨- لابد ان يشترك الجميع معي في القرار		
٩- التقارب في السن شيء مهم جداً		
١٠- التوافق في الطباع شيء مهم، ولا يشترط التماثل التام .		
١١- الملتزمون كثير، ويكفي أنه لا يشرب سجاير، والصلاة سوف أعوّده عليها		
١٢- أهم شيء أن يكون وسيما طويلا وشعره ناعما		
١٣- لا يعيب الرجل إلا جيبه، وجماله في جيبه		

بيان	أوافق	لا أوافق
١٤- أخواتي كلهن متزوجات من أعضاء هيئة تدريس، وأنا لست أقل منهن، وهذا شرطي.		
١٥- مش معقولة أرفض جوازة لُقطة في كل حاجة علشان بيدخن .		
١٦- الأهل وحدهم لهم مطلق الاختيار، ولا دخل لي في الاختيار		

إعط لنفسك درجة حسب الجدول

الأسئلة	أوافق	لا أوافق
١ – ١٠	١	٠
١١ – ١٦	٠	١

احسبي الدرجات

[illegible]	[أساس اختيارك سليم، بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير]
[illegible]	[ما زال هناك خلل في أسس الاختيار]
[illegible]	[انظري معنا إلى الأسس كي تربحي]

نصائح جدتي

ليس للبنت إلا بيتها، ولذلك اسمعي نصيحتي يا ابنتي:

١- عليك أن تعملي على تنمية قدراتك، مثل: تعلم الطبخ وعدم التحجج بالدراسة، وتعلم أسس الخياطة مثل تثبيت الأزرار وتركيب السوستة وغيرها، وهكذا.

٢- لا بد أن تعملي على تنمية الحس الجمالي لديك، وأن تعلمي كيف تضعين ديكورًا أنيقًا بأشياء بسيطة، كما أنك لا بد وأن تنمي الشعور الأنثوي لديك؛ فتتعودي على أن تكوني دائمًا نظيفة الملابس مهذبة الشَّعْر، ولا مانع أن تتعلمي أصول تسريح الشعر وفنون المكياج.

٣- عليك أن تتعودي العمل في أكثر من شيء في وقت واحد، مثل: الطبخ والتنظيف معًا. وأن تتعلمي السرعة في الأداء مع مراعاة الإتقان؛ فإن ذلك سيساعدك فيما بعد عند ازدحام الوقت وقلة الساعات التي تعملين فيها.

٤- مراعاة تنسيق الوقت وتنظيمه من أهم الأشياء التي يجب أن تتعودي عليها، فلا يكون وقتك كله مذاكرة، ولا يكون كذلك ضائعًا في التنظيف والترتيب واللعب. اجعلي جزءًا من وقتك للمذاكرة وجزءًا للنظافة وجزءًا لقراءة القرآن... إلخ.

٥- عليك أن تحاولي الارتقاء في معاملاتك مع الله -سبحانه وتعالى- وفي نشاطك؛ فلا تهملي علاقتك بالله مهما كانت الأسباب، واعملي بأقصى جهد لتطوير تلك العلاقة.

٦- التعود على التعامل مع الناس خاصة (الوالدين والكبار والأخوة) بأرقى أنواع الأدب والذوق ويكون ذلك بعدة أشياء هي:

أ- التعود على قول صيغ الاحترام، مثل: (حضرتك بدلا من أنت، نعم بدلا من إيه، تفضلي بدلا من خذي... إلخ).

ب- السيطرة على الحركات الانفعالية، فعليك أن تكوني متوازنة الانفعال دائمًا.

ج- الابتسام والبشاشة في وجه الأقارب والأصدقاء ولا تنسى بعض الجدية.

د- الاعتذار دائمًا وبسرعة إذا صدر منك خطأ ما، ولا تعتبري ذلك إهانة لك.

هـ- التعود على بعض الأشياء التي تولد الاحترام بينك وبين الآخرين مثل تقبيل يد الوالدين وتقديم الكبير .. وخدمة الأقران.

٧- اللباقة مهارات مكتسبة فلا بد أن تتعلمي حسن التخاطب مع الغير وآداب الحديث، وعليك أن تتعلمي كيفية اختيار مداخل الحديث وضوابطه.

٨- الحذر كل الحذر من الإشارات المعبرة، مثل: تحريك الأكتاف واستخدام حركات اليدين في التعبير عن الكلام، والتحدث مع الآخرين من مكان بعيد كأن تكوني في إحدى الغرف وتحدثي أختك بصوت مرتفع لتسمعك وهي في الغرفة المجاورة، وأن تحدثي أحدا وأنت مدبرة بوجهك عنه... إلخ.

جدتك تعلم الكثير .. أليس كذلك!

انتقلي الآن إلى الخطوة الرابعة .

الخطوة الرابعة : أين؟

وأراكِ تنظرين إليَّ في عَجَبٍ، بل وشك، وتكاد لمحة توجُّس تتسلل إلى ابتسامتك الجادة، وسؤال يدور في نفسك؛ هل أخرج لأبحث عن العريس؟

أعلم أن هذا مستحيل، وأن الأصل أن يتقدم الفتى للزواج، ولكن إذا تخليت عن هذا التوجس من هذا السؤال، فستجدين المساحات واسعة جدًا.

الموقف بالنسبة لك الآن واحد من ثلاثة:

١- إمَّا أن يكون هناك أكثر من شاب يتقدم لكِ، وهنا لا توجد مشكلة، فعليكِ أن تنتقلي إلى الخطوة الخامسة.

٢- أو أنك تشعرين بقلة المتقدمين، مِمَّا يُضَيِّق عليكِ فرصة الاختيار الجيد، وقد تجدين نفسك ترضين بأول طارق.

٣- أو أن هناك شخصا بعينه ترين فيه الصفات والمؤهِّلات التي ترشِّحه أن يكون الزوج الذي سيكرمك.

ما رأيك أن نتحدث عن الحالة الثالثة أولا؟

وأول ما يشرق في النفس حول هذه الحالة قصة زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة -رضي الله عنها- وكيف اختارته هي، وَسَعَتْ إلى الارتباط به لِمَا رأت فيه ﷺ من الرجولة الكاملة. وهذه الحالة تتطلب منك حكمة شديدة واتزانا؛ حيث إن الرجل في الغالب يرغب عن الارتباط بالفتاة التي تعرض نفسها عليه؛ فقد يصادقها أو يصاحبها ولكن عندما يقرر الارتباط بها في عقد حياة فإنه يفكِّرُ كثيرًا.

ويمكن أن تفعلي مثلما فعلت السيدة خديجة؛ حيث أرسلت سيدة عاقلة معروفة للطرفين؛ تتعرف على رغبة النبي ﷺ في الارتباط ومعوقاته، وتقترح عليه السيدة خديجة وتيسِّر له الأمر.

واحذري من الصديقة غير الموثوق بها، وأرشح لكِ أكثر الناس خوفًا عليكِ واهتمامًا بمصلحتكِ؛ أمك مثلا، أسِرِّي لها بمكنون نفسك، واتركي لها الأمر وهي ستتصرف.

وأهمس إلى كل أمٍّ: كوني صديقة ابنتك، وحافظة على سرها، واسعي في رغبتها ما دام الأمر مقبولا ولا غضاضة فيه.

ويمكن أن تتعدد أشكال وطريقة عرض الموضوع؛ عن طريق أخته أو أمه إذا كانت هناك علاقة بهن، ولكن بما يحفظ لكِ كرامتك ومكانتك كفتاة مرغوب فيها، فعسى أن يكون عنده ما عندك ويقف الخجل والخوف من الرفض عائقًا بينكما.

أمَّا أن تلقي بنفسك في طريقه وتبنين علاقة خفيَّة بينكما، ويحدث ما نراه ونسمعه من أحوال الناس، فإنني أطالبك أن تقلِّبي صفحات هذه الروايات لتقرئي نهاياتها، وتتعرفي على مصير هذه العلاقات، وأظن أن لنا معًا حديثًا حول هذا الموضوع في رسائلي إلى الشباب.(١)

ارفعي الحواجز

اما في الحالة الثانية -حيث فرصة الاختيار المحدودة- فإنني أقول لك: حاولي أن توسعي دائرة الاختيار، وذلك بتحطيم الحواجز التي تضيقها، والتي منها:

١- الشروط الصعبة التي تضعينها، وتجعل مَنْ حولك ييأس في تحقيقها لك.

٢- إظهار نفسك بمظهر المترفع والزاهد في أمر الزواج.

٣- إطلاق صواريخ آرائك المنفعلة أو المراهقة في الرجال والزواج والأمومة، مِمَّا يجعل مَنْ حولك يخافون أن يتعاونوا معك في مثل هذه العلاقة.

(١) مجموعة رسائل (في الحياة) إلى الشباب للمؤلف.

٤- الخجل المَرَضِي، الذي يجعلك صندوقًا مغلقًا، فلا يجد مَنْ حولك أي معلومات تدفعهم لمثل هذا الموضوع.

٥- الجدية المبالغ فيها؛ بحيث تفقدين كثيرًا مِنْ جاذبيتك كأنثى، فتجعلك أقرب إلى صفات الرجال.

أقول لك: حتى تكسري الحواجز كوني طبيعية غير متكلفة.

أعْلِمِي كلَّ مَنْ يحبونك أنه لا مانع عندك من اختيار عريس في هذا الوقت.

وأولا وأخيرًا: الدعاء.

فإن الزواج رزق مكتوب عند الله، والله هو الذي جعل لك من نفسك زوجًا.

وقد أهداني أحد الصالحين نصيحة في مقتبل عمري عندما قلت له: أريد أن أتزوج، فقال لي: عليك بأمرين:

الأول: أن تخبر كلَّ مَنْ حولك؛ خاصة مَنْ تعرف أنهم يحبونك برغبتك هذه.

والثاني: لا تدع سجدة تسجدها إلا وتدعو بمثل هذا الدعاء.. (اللهم ارزقني زوجة صالحة تعينني على أمر ديني ودنياي). وفعلتها، ولم تمر شهور إلا ورزقني الله بما أبغي وأكثر، ففضل الله عظيم.

وفعلها موسى عليه السلام؛ آوى إلى الظل، ورفع يده إلى السماء وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] فزوَّجَهُ الله بعد آيتين، بل واتسعت لديه دائرة الاختيار ليختار من اثنتين ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] فعليك الالتزام بهذا الدعاء، ففيه سِرٌّ عظيم.

***

وتذكري:

أسباب تأخر سن الزواج:

١- أسباب ترجع للفتى:

- عدم الرغبة في تحمل المسئولية.
- البطالة.

٢- أسباب ترجع للفتاة:

- الانشغال بالتعليم.
- وضع شروط مثالية لزوج المستقبل.
- الاغترار بالمال والمكانة الاجتماعية.
- التأثر بنماذج سيئة يؤدي إلى الخوف من الزواج.

٣- أسباب ترجع للأهل:

- التأثر بوسائل الإعلام في طريقة اختيار الزوج أو الزوجة.
- سوء الحالة الاقتصادية للأب.
- المغالاة في طلب المهر وتكاليف الزواج.
- عدم تفهم وجهة نظر الفتاة لزوج المستقبل.

والآن، وقد استخدمتي الأدوات الأربع السابقة: (متى، لماذا، مَنْ، أين) فسيسهل عليكِ استخدام الأداة الأخيرة في الخطوة التالية:

الخطوة الخامسة: كيف؟

وهو سؤال التنفيذ الذي لا يحتاج إلى كثير من الكلام، فهناك محطتان في هذه الخطوة:

المحطة الأولى: الاستشارة.

المحطة الثانية: الاستخارة.

أما الاستشارة

فما خاب من استشار، وعليكِ أن تسألي نفسكِ: مَنْ أستشير؟

أقول لكِ بأعلى صوتي:

«لا تتجاهلي مَنْ له الحق الكامل في مشاركتك في الاختيار» إنه الأب والأم، وسمى الله الأب الولي، وهو الذي لا ينعقد العقد إلا به. والأم مستشارة الأب وناصحة لكِ، فلا تجعلي موضوع اختيارك معركة في البيت، واستخدمي ذكاءك وفطنتك حتى لا تخسري أول حصونك.

ثم استشيري أهل الخبرة مِمَّن تثقين فيهم، ولا بُدَّ أن تتوفر فيهم صفتا العدل والأمانة، وأن تكون هناك علاقات طيبة مع الطرف الآخر الذي سيختار منه، وأن تكون هناك نسبة من العِشْرة بينهما تؤهل للحكم السديد عليه.

والاستخارة

بعد أن تجمعتْ لديك المعلومات الكافية حول المتقدِّم ضعي الأمر

الآن أمام الله، وقد علّمنا ﷺ هذه الصيغة لعرض أمورنا على ربنا واستخارته فيها.

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، يقول: « إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ».(١)

المنامـــــات

ولا يفوتني أن أنبه عليكِ أن الاستخارة نوع من أنواع الدعاء، يظهر أثره بإقدامك القلبي على الموضوع ثم الاستمرار فيه، والانشراح لعدم انقطاعه، ثم تمامه بخير. وأحذرك من تعليق الاستخارة على منام أو رؤيا تريها، فإن الأمر لا يتعدى الدعاء الذي تسألين الله به؛ إما أن يوفقك إذا استمر الموضوع أو يرضيك إذا لم يستمر. وإذا حَدَثَ أيُّ معوّق في هذه المراحل فإننا نحمد الله على الاستخارة، ونسأله أن يبدلنا خيرا منها، ولا نندم أو نحزن.

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الدعاء)، باب (الدعاء في الاستخارة).

بقي لنا أمران:

الأول: صفات تعين على حسن الاختيار.

ولقد تناثرت في هذا الفصل السابق، ولكن أجمعها لك هنا.

١- **الثقة بالله** الذي قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات: ٢٣].

وأن هذه الجبهة الساجدة ترسم مواضع قصورك في الجنة، والدعاء معها يصل بك إلى الرحمن، فلن يخذلكِ، ما توكلتِ عليه، وعقدت نية صالحة في اختيارك.

٢- **الثقة بالنفس**: واعلمي أن كلَّ فتاة رزقها الله من الجاذبية رزقًا، وأن لديك من المؤهلات ما يرشّحك لأن تكوني زوجة فاضلة، وأكثر ما يدعم ثقتك بنفسك أن ترفعي رأسك وتقولين: **أشترط صاحب الدين.**

٣- **التوازن بين العقل والقلب**: وقد حدثناك عن هذه الصفة من قبل، ونقول لك هنا:

> **إن أكبر أخطاء المرأة أن يعجبها مظهر أو كلام الرجل، فتختاره زوجًا لذلك فقط.**
>
> **إن موقف شهامة أو رجولة ليس معناه إغلاق القلب عن باقي الصفات، فعليك أن تجعلي العقل والقلب كِفتَّي ميزان.**

٤- إياكِ من الاختيار الناتج عن رَدِّ فعل؛ فالزواج رحلة عمر أبدية وليست أيامًا وتَمُرُّ.

٥- لا تتجاهلي مَنْ له الحق الأساسي في مشاركتك الاختيار (الأب والأم).

والثاني: أفكار خاطئة عند الاختيار.

١- لا أعرض نفسي على أحد.

الصواب: فلتعلم النساء والصديقات حولك أنك على استعداد لرؤية مَنْ يتقدم.

٢- الالتزام بالملابس المحتشمة يمنع العريس.

الصواب: العكس، فإن وجهة نظر الفتيان الفضلاء التقدم للملتزمة، وإذا رفضك أحد بسبب هذا الاحتشام فخير لك، وشر وقاك الله منه.

٣- لا أقبل مَنْ يعرضه عليَّ أبي أو أمي، فلي أفكاري المختلفة عنهما.

الصواب: ولماذا لا أعتبرهم مِنَ المتقدِّمين، وأقول فيهم وجهة نظري، ولا أنسى أن لوالدي الحق الكامل في مشاركتي الاختيار.

٤- سيفوتني القطار إن لم أسرع.

الصواب: الزواج رزق كتبه الله لا يؤخره أو يقدمه شيء، فتمهَّلي عند الاختيار حتى لا تندمي بسبب التسرع.

٥- جمالي ومالي يكفلان أن يتقدم لي أفضل عريس.

الصواب: جمالك يذبل، ومالك يضيع، ولا يبقى إلا خُلُقُك ودينك، ولا يُقَدِّر الخُلُقَ والدين إلا صاحب خلق ودين.

٦- قد يعاقبني الله على رفض شاب صالح؛ لأن قلبي لا يميل إليه.

الصواب: إن الله لا يعاقب على ما أمر، ورسوله هو الذي أمرنا أن ننظر إلى الفتى حتى يعجبنا شكله وتميل إليه نفوسنا. وأفضل أن ترفضي الآن على أن ترفضي وقد أصبح الموضوع له جذور وسيقان.

صفات تعجب الرجل في المرأة:

١- روح الدعابة والمرح.

٢- الثقافة والقدرة على الحوار.

٣- القدرة على الإنصات والاستماع.

٤- الأناقة والاعتناء بالمظهر.

٥- روح الجـــــاملة.

٦- الحنان والإقبال والاهتمام.

صفات لا تعجب الرجل في المرأة:

من الصفات التي لا تعجب الرجل في المرأة مهما بلغت حريته: الجرأة الشديدة في التعبير عن المشاعر أو المبادرة بذلك؛ فيؤكد الخبراء أن الرجل يجب أن يحتفظ بصفة الاقتحام فحصّني قلاعك، ولكن لا تمنعي نسيمًا رقيقًا يخرج منها.

والآن اختبري مهاراتك عند الاختيار، وأجيبي عن الاستبيان التالي:

عند الاختيار

لا أوافق	أوافق	بيان
		١- تقدم إليك عريس ترضين دينه وخلقه ولكن يسكن مع والدته
		٢- تقدمت بك السن ولم يتقدم لك إلا رجل ملتزم خلقاً ولكنه غير وسيم
		٣- تقدم إليك عريس ذو خلق ودين ولكن عمله وسكنه في منطقة نائية عن منزل والدتك
		٤- تقدم إليك عريس يملك شقة صغيرة وسيؤثثها بحجرة نوم بسيطة وأدوات قليلة
		٥- يشترط أن يكون عش الزوجية كاملا، حتى ولو كان بأقساط كبيرة وإلى أجل بعيد
		٦- القبول يكون أول شيء بينما الحب ينمو بعد الزواج
		٧- فرحك فرح كبير وجميل، وبوفيه مفتوح، وفستان مرصع بالألماظ، وزفة بفرقة كبيرة، وإلا فلا.
		٨- من الممكن أن ترفضي عريسا تقدم لك لمجرد أن به شبها من أحد الأشخاص الذين لا تحبينهم.
		٩- لا بد أن يكون عريسك وسيما جدا وطويل القامة
		١٠- أتحمل فترة خطوبة طويلة حتى يكتمل تأثيث الشقة

احسبي الدرجات وأعط درجة للإجابة الصحيحة

١، ٢، ٣، ٤، ٦	أوافق
٥، ٧، ٨، ٩، ١٠	لا أوافق (ضعي درجة واحدة للإجابة الصحيحة)

إذا حصلت على ١٠-٧ درجات	[فطرة الله التي فطر الناس عليها].
إذا حصلت على ٦-٥ درجات	[حـــاولي قلـــيلا مـــع نفســـك وستعودين بإذن الله إلى فطرتك].
إذا حصلت على أقل من ٥ درجات	[لا حول ولا قوة إلا بالله].

مهارات الاختيار تدريب عملي

عزيزي الشاب.. عزيزتي الفتاة:

هل يعقل أن نترك أمر بناء البيت الذي سنكمل فيه بقية حياتنا لخبط عشوائي أو ضربة حظ، أو كما يقول أحبابنا على المقاهي: (مثل البطيخة.. أنت وحظك؛ إما حمرا وإما قرعا)؟

إن الواحد منا إذا أراد أن يشتري قطعة ملابس يجلس يدبر لها ويفكر ويبحث في المحلات ويقيس ويوازن بين الألوان ويقدر الإمكانيات حتى يستقر على ما يريد، ثم بعدها يسارع إلى أقرب صديق له ليسأله، ما رأيك؟ هل وفقت في الاختيار؟

إننا نقدم لكم في هذه الفقرة شكلا عمليًا نتدرب من خلاله على مهارات اختيار الأفضل، وذلك أخذًا بالأسباب التي وفرها الله لنا وعلى رأسها العقل، ثم نترك النتيجة على الله سبحانه وتعالى.

الخطوة الأولى:

١- أحضروا كراسة متوسطة الحجم، وقلم رصاص وممحاة (أستيكة).

٢- افتحوا الصفحة الأولى من الكراسة.

٣- اكتبوا أعلى الصفحة هذا العنوان (**الصفات التي أرغبها في زوجي/ زوجتي**)

الصفات التي أرغبها في زوجي/ زوجتي
١-................................
٢-................................
٣-................................
٤-................................
٥-................................
٦-................................
٧-................................

الخطوة الثانية:

١- أغمضوا أعينكم واسترخوا (نَفَس عميق).

٢- رجاء.. اتلوا أو اسمعوا هذه الآية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

٣- الآن، استحضروا صورة الزوج/ الزوجة في مواقف العلاقة المختلفة..

- إنه الآن يتكلم مع أبيك.
- إنها تقف خلف الباب تستمع إلى حديثك.
- لقد أحضر لكِ هدية.
- إنها تتسلم هديتك وتشكرك عليها.
- تعرفت أكثر على والدتها ووالدها وإخوتها وبيتها، وعلى بعض السلوكيات داخل البيت.

- لقد أعلنت الخطبة، وهذه اللقاءات الجميلة بينكما.
- إنكم تستمعون إلى بعضكما.
- وهذه قضية تتناقشان فيها، هناك خلاف بينكما.
- تم العقد، ومرت أوقات الاتفاق بسلام.
- مرت أيام العقد الجميلة.
- أولى ليالي الزواج.
- أيام في الحلال.
- أولاد ومسئوليات والتزامات.
- حقوق وواجبات.
- عثرات ومشكلات.. ونجاح.
- الآن أنتما تلاعبان أحفادكما.

أرجو تلوين الصور وسماع أصواتها، ومراقبتها من أكثر من زاوية.

الخطوة الثالثة:

١- افتحوا أعينكم الآن، لا زالت الألوان تتراقص على أنغام الأصوات في صدوركم.. (نفس عميق جدا).

٢- سجلوا الآن في الورقة التي بين أيديكم جميع الصفات التي أحببتم أن تروها في خلفيات المشاهد التي مرت عليكم.

أذكركم:

جميع الصفات من حيث الشكل الخارجي - مستوى الأسرة - شكل التدين- الطباع الدفينة - الموقف من التصرفات المختلفة.

٣- رجاء الصبر الشديد، وتسجيل أدق التفاصيل؛ لرسم الصورة التي يتخيلها كل منكما في زوج أو زوجة المستقبل.

٤- **أكرر**: لا تحكموا على أي صفة تكتبونها، فقط اكتبوا ما يرد على الخاطر.

٥- **أكرر**: لا تمنعوا الأحلام أن تتدفق، وتخلصوا من الواقعية، وفكوا وثاق العواطف الجياشة.

٦- **أكرر**: لا تقيدوا رغباتكم بعادات أو تقاليد أو فهم شخصي للدين؛ فإن رسول الله ﷺ أشار لمن خطب أن يعيد النظر؛ فإن في أعين الأنصار شيئا.

٧- **أكرر**: لا تربطوا رغباتكم بتجارب سابقة لكم أو بتجارب من يحيطون بكم، اكتبوا ما رأيتموه في المشاهد التي مررتم بها.

٨- **أخيرًا**: إذا شعرتم بتوقف تدفق الصفات، أعيدوا الخطوة الثانية مرة أخرى، واستعيدوا المشاهد حتى تجدوا الصفات بين جوانبها.

الخطوة الرابعة:

١- **الآن**، افتحوا صفحة جديدة بيضاء في الكراسة، وقسموها إلى ثلاثة أعمدة رأسية، واكتبوا فوق كل عمود ما يلي:

أ- يستحيل	ب- يمكن	ج- ليت

٢- ابدءوا الآن في قراءة تلك الصفات التي كتبتموها في الصفحات السابقة، واحدة واحدة بهدوء.

٣- سجلوا الصفة بنصها في أي عمود من الأعمدة الثلاثة (أ- ب – ج)، وذلك بالشروط التالية:

أ- العمود (أ) تسجلون فيه تلك الصفة التي إذا قرأتموها تقولون لأنفسكم مباشرة وبلا تفكير: (مستحيل التنازل عن هذه الصفة).

ب- العمود (ب) تسجلون فيه تلك الصفة التي إذا قرأتموها تقولون لأنفسكم مباشرة وبلا تفكير: (يمكن التنازل عن تلك الصفة بصعوبة).

ج- العمود (ج) تسجلون فيه تلك الصفة التي إذا قرأتموها تقولون لأنفسكم مباشرة وبلا تفكير: (ليت من يتقدم أو أتقدم لها يكون فيها تلك الصفة، ولكن يمكن التنازل عنها بسهولة). وهكذا في كل صفة من الصفات.

٤- يتكون الآن جدول ثلاثي الأعمدة، فيه مجموعة صفات (أ) ومجموعة (ب) ومجموعة (ج).

الخطوة الخامسة:

١- اطووا كراساتكم الآن بعد وضع تاريخ اليوم الذي تم فيه التدريب.

٢- اذكروا الصفات أو بعضها لمن حولكم من أهل وأصدقاء ومعارف ومهتمين، وتناقشوا فيها واستمعوا إلى آراء من حولكم، حول ما هو مستحيل التخلي عنه، وما يمكن التخلي عنه، وما يعتبر أمنية ليتها تحدث من الصفات.

٣- أطلقوا للآخرين حرية النقاش والحوار وإبداء الرأي، وتحملوا آراء الآخرين مهما كانت مخالفة لرأيكم. دافعوا عن آرائكم واستمعوا للرأي الآخر من مستويات مختلفة من التفكير.

٣- راجعوا في عقولكم هذه المحاورات لمدة شهر أو شهرين.

***

الخطوة السادسة:

١- بعد شهرين أعيدوا هذا التدريب مرة أخرى، ولكن اكتفوا بقراءة قائمة الصفات في الخطوة الثالثة، مع إضافة تعديل أو حذف ما تجدونه يستحق الحذف، وإضافة صفات جديدة إن وجدت.

٢- اعملوا جدولا ثلاثيا جديدا في صفحة جديدة من الكراسة، وسجلوا الصفات -بعد الإضافة أو الحذف أو التعديل- في الأعمدة حسب شروط كل عمود (أ، ب، ج) حتى الانتهاء من جميع الصفات، وضعوا تاريخ اليوم على الصفحة الجديدة.

٣- قارنوا الآن بين الجدولين لتروا مدى التغير في وجهة نظركم؛ حيث تنقلت الصفات من أ إلى ب أو إلى ج وبالعكس، وقد تكون هناك صفات قد حذفت وأخرى أضيفت.

٤- عند تكرار هذه التجربة كل شهرين مثلا سيتحدد لكم مدى النضج في التفكير وفي النظر إلى الطرف الآخر وصفاته المرشحة له، وعند ثبات تجربتين متتاليتين بنسبة مقبولة اعلموا أن مدى النضج قد وصل إلى أفق عال؛ بل وحدث ثبات في الرأي بنسبة ثبات التجربة، وعندها يمكن أن تقولوا: إن هذه هي الصفات التي أريدها فيمن سأرتبط به أو بها.

٥- ولا تنسوا تسجيل تاريخ التجربة.

***

الخطوة السابعة:

الآن: تقدموا وافتحوا الأبواب لمن يتقدم أو تتقدم لها، ويكون هناك سؤال محدد: هل من سأتقدم لها أو سيتقدم لي فيه هذه الصفات؛ أي صفات (أ أم ب أم ج) أو جميعها؟

أظن أنكم قد استوعبتم التدريب، إنها الصفات (أ) التي يستحيل التخلي عن واحدة منها.

فإذا كان هذا المتقدم أو هذه التي ترغب في التقدم لها فيها هذه الصفات (أ) فلتبدأ أولى الخطوات.

وسيكون العمود (ب) هو المرشح للإقدام، وسيكون العمود (ج) هو المحفِّز للتمام.

***

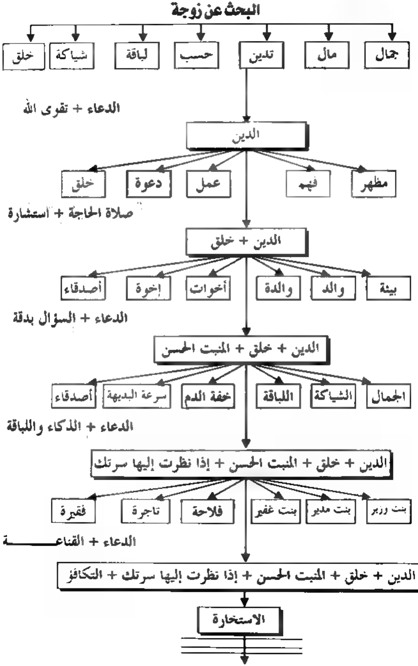
البحث عن زوجة
جمال
مال
تدين
حسب
لباقة
شياكة
خلق
الدعاء + تقوى الله
الدين
مظهر
فهم
عمل
دعوة
خلق
صلاة الحاجة + استشارة
الدين + خلق
بيئة
والد
والدة
أخوات
إخوة
أصدقاء
الدعاء + السؤال بدقة
الدين + خلق + المنبت الحسن
الجمال
الشياكة
اللباقة
خفة الدم
سرعة البديهة
أصدقاء
الدعاء + الذكاء واللباقة
الدين + خلق + المنبت الحسن + إذا نظرت إليها سرتك
بنت وزير
بنت مدير
بنت غفير
فلاحة
تاجرة
فقيرة
الدعاء + القناعـــــة
الدين + خلق + المنبت الحسن + إذا نظرت إليها سرتك + التكافؤ
الاستخارة

عزيزي الشاب ....

عزيزتي الفتاة ....

هل الأمر يستحق كل هذا العناء؟ أظن نعم؛ فقد عشتم منفردين حوالي عشرين سنة من حياتكم، والآن أمامكم مثليها أو أضعافها لتعيشوا تحت سقف واحد، ألا يحتاج هذا إلى بعض التعب؟

وبعد أن استخدمتم أدوات الاختيار الخمس، وتحددت ملامح الموافقة المبدئية لديكم، وحان الآن موعد اللقاء الأول.

وأراكم تسألوا عن أساليب التعارف ومفرداته، بل وتريدون أن تتعرفوا على ملامح سلوكياتكم كمخطوبين. وهذا موضوع حديثنا في الفصول التالية.

الباب الثالث

حتى نحقق
أحلام الخطبة

هيا بنا نحلم !!

هيا بنا نحلم؛ بل ونرسم في أحلامنا خطط الحياة ونلونها بألوان مشاعرنا الفياضة ورغباتنا المشروعة. لقد مرت علينا فترة الاختيار الجميلة كأنها حلم اليقظة، وها نحن مقدمون على فترة الاستغراق في الحلم.

ولحكمة بالغة يجعل الله تعالى الزواج على مراحل: تفكير، فاختيار، ثم خطبة، وعقد، وزواج. إن كل مرحلة في الرحلة هي برنامج تدريبي يتدرب فيه الطرفان على مهارات استمرار الحياة، فمن استوعب التدريب وعاش المرحلة بحدودها ولم يتعداها فقد نجح في المرحلة التي تليها، وإلا فلا بد من تجربة أخرى وتدريب آخر.

أصدقائي الشباب:

أجبنا لكم عن سؤال في المرحلة السابقة (الاختيار):

كيف تختار زوجة تسعدك؟

كيف تختارين زوجًا يكرمك؟

والحمد لله تم الاختيار، واتخذتم أهم قرار في حياتكما، سأخطب فلانة أو سأرفض خطبة فلان أو سأرضى به خطيبًا.

أعود فأقول لكم

إنها فترة الأحلام، فهيا نحقق أحلامنا.

الفصل الأول

كيف تتم الخطبة؟

تنوعت أشكال وطرق الخطبة في عصر القدوة (عصر النبي ﷺ) ومن أمثلتها:[1]

(١) انظر هذا التبويب الجيد للأحاديث في كتاب (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، عبد الحليم محمد أبو شقة، الجزء الخامس.

١- الخطبة عن طريق أهل المرأة:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ- فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إلا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِلْتُهَا.[١]

فهنا أبو حفصة يخطب لابنته ويعرضها على أهل الصلاح

٢- الخطبة عن طريق الحديث المباشر مع المرأة:

وهو بتعبير كتب الفقه (**خطبة الرشيدة إلى نفسها**).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا، وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: **«أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ**

---

(١) رواه البخاري، كتاب (النكاح)، باب (عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير). وتأيمت يعني مات عنها زوجها، وأوجد عليه أي أكثر غيظاً .

يُغنِيهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ.[١]

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ -رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ- فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ؟ فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ. قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي.[٢]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ، فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا.[٣]

---

(١) رواه مسلم، كتاب (الجنائز)، باب (ما يقال عند المصيبة). ويغنيها عنها أي يكفها رسول الله ﷺ حتى تستغني عن أمها.. وهو من لديه ﷺ فلم يقل سأكفلها أنا بل قال أدعو الله أن يغنيها.

(٢) رواه البخاري، كتاب (المغازي)، باب (فضل من شهد بدر)، كانت تحت سعد أي زوجته، تنشب: فلم تلبث، تعلت من نفاسها: انتهت منه وطهرت وهو حكم عدة المرأة الحامل أن تضع حملها.

(٣) رواه النسائي كتاب (النكاح)، باب (التزويج على الإسلام).

فيرسل رسول الله ﷺ رجل يخطب أم سلمة من نفسها وسبيعة تستعد لاستقبال الخاطب بنفسها.. وأبو طلحة يخطب أم سليم من نفسها.. والملاحظ في الأحداث الثلاثة أن النساء كن ثيبات وليست أبكاراً وهذا هو المتوقع بالنسبة للبكر والتي تكون ذات غفلة وحياء أن تستمع لأمر خطبتها بنفسها.

٣- والد الفتاة أو بعض أقاربها يعرضون الأمر على مَنْ يرضون خُلُقه ودينه..

وهو ما أطلق عليه البخاري (عَرْض الإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ).(١)

فعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْعَلُ»، قالت: مَاذَا قُلْتُ؟ تَنْكِحُهَا!! قَالَ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟»، قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي الْخَيْرِ أُخْتِي، قَالَ: «فَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لِي».(٢)

فأم حبيبة تعرض أختها .. ومر بنا عرض الأب (عمر بن الخطاب) ابنته.

٤- الرجل يخطب المرأة من كبير القوم:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: «قَدْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب (النكاح)، باب (عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير).
(٢) رواه مسلم، كتاب (الرضاع)، باب (تحريم الربيبة وأخت المرأة).

زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ».(١)

وكبير القوم هنا محمد رسول الله ﷺ نفسه وينوب عنه أي كبير في قومه ولكن رأيه ليس أمراً نافذاً إلا بموافقة الولي والمرأة نفسها فلا جبر في الزواج بأي حال من الأحوال .

٥- كبير القوم يخطب لبعض أصحابه :

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ قَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ، فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ.(٢)

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا»، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لاهَا اللهُ إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلانٍ وَفُلانٍ؟! قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ، إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الوكالة)، باب (وكالة المرأة الإمام في النكاح).

(٢) رواه مسلم، كتاب (النكاح)، باب (الخطبة في النكاح). تأيمت: انتهت عدة طلاقها وعُدَّت أيِّمًا؛ أي لا زوج لها.

لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ. فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ»، فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ فُزِّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَرَكِبَ جُلَيْبِيبٌ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَهُمْ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ.[١]

وهاتان الحادثتان فيهما بيان الأدب الشديد مع أوامر النبي ﷺ .. ولكن لا يعني هذا أن أي كبير قوم يعامل نفس معاملة النبي ﷺ في موضوع الزواج .. فلا بد من الرضا التام للمرأة وأوليائها ... بل في القصة الأولى في رواية أخرى أظهرت فاطمة بنت قيس رفضها الأولى لأسامة إلا أن النبي ﷺ من موقع الوحي أقنعها فتزوجته طاعة للنبي ﷺ فوجدت خيراً كثيراً..

٦- عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح:

وقد مرت بنا قصة أنس وابنته[٢].

٧- التعريض بالخطبة زمن العدة.

أي عدة المتوفى عنها زوجها، وعدة المطلقة طلاقًا بائنًا.

---

(١) رواه أحمد، كتاب(باقي مسند المكثرين)، باب (مسند أنس بن مالك). لاها الله إذا: كلمة تقال عند التعجب، وجلت عن أبويها أي لزاحت عنهم ما هم فيه من حيرة وفزع أهل المدينة: استغيث بهم فخرجوا للإغاثة. ومعنى من أنفق: أي أنها تزوجت وكثر مالها حتى أصبحت أكثر بيوت المدينة إنفاقًا في سبيل الله.

(٢) قد فصلنا هذا الموضوع عند الحديث في الباب الأول.

قال تعالى: ﴿ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ورد في تفسير الجلالين في معنى التعريض بالخطبة: كقول الإنسان مثلا: إنك لَجَميلة! ومَنْ يَجد مثلك؟ وربَّ راغب فيك.

وعن سكينة بنت حنظلة قالت: دخل عليَّ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين وأنا في عدتي فقال: يا ابنة حنظلة، أنا مَن علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي، وقدمي في الإسلام. فقلت: غفر الله لك يا أبا جعفر، أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنه؟! قال: أو قد فعلت؟! إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي.(١)

وقد مر بنا قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس وهي في عدتها: «فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُكِ فَآذِنِينِي»(٢) يعرض بخطبتها لأسامة بن زيد.

حقيقة الخطبة:

عرف الفقهاء الخطبة بأنها وعد بالزواج لا عقد له. فلا تُحِل حرامًا كالخلوة والنظر إلى غير المحرم أو اللمس. والمخطوبة بالنسبة للخاطب أجنبية لا تضع ملابسها أمامه، ولا يجوز أن تكشف شيئًا من جسدها له إلا الوجه والكفين.

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ابن جرير الطبري، (٢/ ٥١٩).

(٢) آذنيني: أعلميني. وفي هذا تعريض بالرغبة في خطبتها. وبعد انتهاء العدة خطبها رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد.

حكمة الخطبة:

الخطبة مرحلة دراسة وتأكد من الاختيار، ومعرفة كل طرف لحقيقة رغبته في الارتباط بالآخر. فعلى كل طرف السعي في هذه الفترة لمعرفة ما يريد أن يعرفه عن الآخر؛ فهي مرحلة مكملة لمرحلة الاختيار لتأكيد الرضا والقبول بجميع المعايير التي يريدها في الطرف الآخر. وعلى ولي الزوجة تيسير هذه الأمور والمشاركة فيها، وإعانة الخاطب والمخطوبة على اتخاذ القرار المناسب فيها.

العلاقة بين الخاطب والمخطوبة:

وبالنظر إلى تعريف الخطبة ومحدودية آثارها وإلى حكمتها نجد أن هناك معضلة تحتاج إلى حل.

كيف يستطيع الخاطب والمخطوبة أن يجمعا معلومات عن بعضهما لاتخاذ قرار النكاح، وهما أجنبيان لا يحل لهما الالتقاء؟

سُئِلت هذا السؤال يومًا في إحدى الندوات، فكانت إجابتي للشاب الذي سأله:

الخطبة نوع من التصريح بعلاقة بين الفتى والفتاة بشروط ثلاثة:

١- لا خلوة: حيث يَقُولُ ﷺ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً، قَالَ: «اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ».(١)

---

(١) رواه البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب (من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة...).

٢- لا لمس ويفضل حتى المصافحة.

٣- لا نظر إلى ما حرم الله فيما عدا الوجه والكفين.

قال لي الفتي مندهشًا: وماذا بقي إذن؟!

قلت له: بقي لكما كل ما يعينكما على اتخاذ قرار العقد، وعلى رأس ما بقي أمران:

١- النظر إلى ما لا يحرم.

٢- الكلام بالمعروف.

النظر ما بعد الخطبة.

وقد بينا جواز النظر إلى المرأة والرجل عند إرادة الخطبة عند الحديث عن الاختيار، ولكن وقفت طويلا أمام هذا الباب في أكثر من كتاب من كتب الفقه فوجدت أن الأمر متعلق بالنظرة من أجل الخطبة، وهي ما تحدثنا عنه عند الكلام عن معيار الشكل عند الاختيار، وقلنا: إن الفقهاء أباحوا النظر للاختيار، وورد هناك أكثر من حديث حول هذا الموضوع، من ذلك: وصية النبي ﷺ: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».[1]

والسؤال الذي لَمْ يُجب عنه أكثر أهل العلم: ما حكم النظر أثناء فترة الخطبة؟

وفي البداية أقول: إن إعادة نص الأحاديث التي وردت في هذا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن رسول الله)، باب (ما جاء في النظر إلى المخطوبة).

الموضوع تعطي فكرة واضحة أن المقصود بالنظر للخطبة على شقين:

الأول: هو ما تحدثنا عنه؛ وهو النظر للاختيار، وهو ما وسع فيه الفقهاء أو ضيقوا؛ فمنهم من أباح النظر إلى الوجه والكفين، ومنهم من وسع أكثر من ذلك، ومنهم من اشترط دراية المرأة، ومنهم من أجاز النظر إليها دون علمها، وورد مِنْ فعل الصحابة ما يدل على التوسع في ذلك.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهَا فِي نَخْلٍ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ، فَلا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا».(١)

وعن ابن جعفر قال: خطب عمر بن الخطاب ابنة علي، فذكر منها صغرًا(٢)، فقالوا له: إنما ردك، فعاوده. فقال: نرسل بها إليك تنظر إليها، فلما جلست إليه كشف عن قدميها، فقالت: أرسل، لولا أنك أمير المؤمنين لَلَطَمْت عينك.(٣)

الثاني: يمكن بالتدقيق في حالة تلك الأحاديث التي وردت في موضوع الرؤيا وسبب ورودها أن نلمس أن جابر كان قد خطب وتكلم مع أهل المرأة، وجاء يخبر النبي ﷺ بأنه خطب وانتهى الأمر.. فإذا بالنبي ﷺ يرشده أن ينظر إلى مَنْ خطبها في فترة الخطبة، بل يوصي النبي ﷺ بالنظر

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها).
(٢) أي في السن.
(٣) (الاستيعاب)، لابن عبد البر، (٤/ ١٩٥٥).

إليها حتى يؤدم بينهما. فإن هذا النظر أثناء الخطبة يساعد على اتخاذ قرار إتمام الزواج، كما ورد في حديث جابر بن عبد الله السابق الذي قال فيه النبي ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ».(١)

بل وفي حديث المغيرة بن شعبة المشهور كدليل لِحِلِّ النظر عند الاختيار ورد فيه أنه خطب امرأة، وانتهى الأمر، فأمره النبي ﷺ بمعاودة النظر إليها.

فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».(٢)

بل وردت هذه اللفظة في رواية أنه «تزوج امرأة»؛ وهو دليل على توغل أمر الخطبة حتى أصبح في يقين الصحابي مثل الزواج.. فلا يعقل أنه لم ينظر إليها بعد الدخول بها، فأمره النبي ﷺ بمعاودة النظر إليها.

وفي حديث محمد بن مسلم نجد أنه توسع في النظر بعد الخطبة لدرجة أنه كان يتخبأ لها، ولكنه كان يتخبأ لها في الطريق العام، وفي الحدائق التي تكون المرأة في الغالب فيه ساترة لعورتها. ولقد علل فعله ذلك بنص توجيه النبي ﷺ؛ حيث قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا».(٣) والذي فهم منه استمرار الرؤيا إلى ما بعد الخطبة .

---

(١) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند المكثرين)، باب (مسند جابر بن عبد الله).
(٢) رواه الترمذي، كتاب (النكاح)، باب (ما جاء في النظر إلى المخطوبة).
(٣) رواه ابن ماجه، كتاب (النكاح)، باب (النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها).

وحديث جابر يضع حدًا للنظر أثناء الخطبة، وهو أن يصل إلى قرار الزواج منها.

نقول هذا لنبين أمرين:

الأول: أن البعض يقول بعدم جواز اللقاء والنظر بعد نظرة الاختيار، فهو بذلك يخالف هذا الفهم الذي لا يخفى على أحد من كلام الرسول ﷺ، كذلك فإن هذا الرأي يلغي الخطبة كمعنى وكحكم تمامًا، ويلغي الفائدة منها؛ فما معنى الخطبة إذا كان لا يجوز لي لقاء مخطوبتي والنظر إلى وجهها وكفيها كوسيلة طبيعية لامتداد الحوار بيننا، والذي يؤدي إلى الأُدْمَة بيننا واتخاذ قرار الاستقرار من عدمه؟!!

ولنا على هذا أنه من الجائز أن تكشف المرأة وجهها عند لقاء الخاطب حتى وإن كانت بعضهن (تنتقب) عند خروجها من بيتها على اعتبار أن وجهها ليس بعورة

الثاني: أن إباحة التوسع في النظر عند بعض الفقهاء كانت لضرورة الاختيار فقط، ثم يعود الأمر إلى طبيعته، فلا يجوز النظر أثناء الخطبة إلا إلى الوجه والكفين فقط، وهذا أيضًا نوع من الإباحة لضرورة التفاهم أثناء الخطبة، فإن الأصل هو حظر تعمد النظر حتى إلى الوجه والكفين بدون ضرورة كما ورد في حديث الفضل.

الزينة عند اللقاء:

أما عن زينة المرأة أثناء اللقاء فتدور أيضًا في المتعارف عليه من تناسق

الثياب ومن الزينة الظاهرة الحلال للوجه والكفين، مثل: الخاتم، والكحل، والخضاب.

يقول الشيخ أبو شقة: «لا حرج على المرأة أن تتزين الزينة الظاهرة تمهيدًا لخطبتها، بل إن الشرع الشريف يقرر ما هو أكثر من رفع الحرج، أنه يستحسن لها الزينة الظاهرة في عامة أحوالها، ويتأكد هذا الاستحسان إن كانت تتعرض للخُطَّاب».[١]

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُسَامَةَ عَثَرَ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَدَمِيَ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُصُّهُ وَيَقُولُ: «لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهَا وَلَكَسَوْتُهَا حَتَّى أُنْفِقَهَا».[٢]

كما مر بنا حديث سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ التي تجملت للخطاب بعد انقضاء عدتها (بالتعلل من النفاس)، وفي رواية: «وَقَدِ اخْتَضَبَتْ وَتَهَيَّأَتْ».[٣]

وكم من فتاة يكون الوضوء لها أزهى الزينة وأجملها!

والمخطوبة أيضًا تنظر:

كل ما مر بالنسبة للخاطب هو نفسه للمخطوبة، فهي صاحبة الحق في قبول الخطبة ورفضها، ومن مصلحتها أن يكون قبولها أو رفضها بعد نظرها إليه؛ ولأن الحكمة التي من أجلها أبيح للخاطب أو ندب إليه النظر

---

(١) (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، عبد الحليم محمد أبو شقة، (٥/ ٣٦).
(٢) رواه أحمد، كتاب (باقي مسند الأنصار)، باب (باقي المسند السابق).
(٣) رواه أحمد، كتاب (من مسند القبائل)، باب (حديث سبيعة الأسلمية).

إلى المرأة هي نفسها التي تدعو إلى إباحة نظر المخطوبة إلى خاطبها. وذلك لأن النكاح بعد النظر تتحقق فيه غالبًا الأُلفة ودوام العشرة، وبالتالي تتحقق مقاصد النكاح من تحصيل النسل ودوام الرابطة الزوجية، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة حين أراد أن يتزوج امرأة: «اذهب انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».[(١)]

كان هذا هو الموقف الفقهي من تبادل النظر بين المخطوبين أثناء الخطبة ... يبقى مناقشة القضية الثانية (الكلام بالمعروف) والتي سنتناولها في فصل تالي إنشاء الله ..

العدول عن الخطبة:

الخطبة وعد بالزواج وليست عقد زواج، وعلى هذا فلكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخطبة، وإن كان مقتضى الوفاء بالوعد يقضي بعدم العدول إلا لضرورة أو لسبب شرعي.

والخلاصة: إن الرجوع عن الخطبة جائز، سواء كان من الخاطب أو من المخطوبة أو من وليها، ولكن يُكره إن لم يكن لغرض صحيح شرعي.

ويترتب على الرجوع عن الخطوبة:

١ - استرداد الخاطب ما أعطاه للمخطوبة أو أهلها من مال أو قيمته إن كان هالكًا أو مستهلكًا في حالة إذا ما كان أعطاه لها باعتباره مهرًا أو من المهر.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح)، باب (ما جاء في النظر إلى المخطوبة).

٢ - له أن يسترد هداياه إذا كانت موجودة، أما إذا كانت هالكة فليس له أن يسترد قيمتها. ويرى المالكية أنه ليس له الحق في استرداد الهدايا؛ لأنها هبة، ولا يحل لواهب أن يرجع في هبته.

هل يجوز التعويض عن فسخ الخطبة؟

يتحدث فقهاء الإسلام في هذه القضية التي نلخصها كالآتي: إذا ادعى طرف أنه تضرر برجوع الطرف الآخر عن الخطبة؛ فهل له أن يطلب التعويض؟

وسكوت العلماء عن ذلك دلالة على عدم إلزام الخطبة كوعد وليست عقدًا.. فإن الراجع استخدم حقًا شرعيًا له، ومن استعمل حقه فلا ضمان ولا مسئولية عليه إلا المسئولية الأخلاقية إذا كان رجوعه بغير سبب شرعي.

ولا يمنع ذلك أنه لو صدر من أحد الطرفين ما يستوجب العقاب أو التعويض أثناء أو بعد الرجوع عن الخطبة، فإن للطرف الآخر الحق في مقاضاته؛ كأن يرمي الرجل مخطوبته بالزنا مثلا؛ فتحق عليه المسئولية الجنائية.

وهذا الحكم الذي رجحه د. عبد الكريم زيدان يجعل المخطوبة وأولياءها والخاطب أيضًا شديدي الحرص عند قبول الخطبة؛ حتى لا يكون هناك مبرر غير شرعي للرجوع.[1]

ولقد حسمت محكمة النقض في مصر هذا الخلاف، واستقر قضاؤها على أن فسخ الخطبة في ذاته لا يعد خطأ ممن عدل عنها موجبًا للتعويض، إلا أنه

---

(١) للتفصيل انظر: (المفصّل)، عبد الكريم زيدان (٦/ ٧٣ - ٧٨).

إذا اقترن بهذا العدول المجرد أو لابسه أفعال مستقلة عن العدول ذاته صدرت عمن عدل عن الخطبة خطأً تقصيري طبقًا لنص المادة (١٦٣) من القانون المدني، ترتب عليها إصابة الطرف الآخر بأضرار مادية أو أدبية.

ونتيجة هذا العدول وجب التعويض، ومعيار الخطأ في هذه الحالة هو المعيار المألوف؛ فما دام الخطيب -وهو يفسخ الخطبة- قد انحرف عن السلوك المألوف للشخص العادي في مثل الظروف الخارجية التي أحاطت به كان فسخ الخطبة موجبًا للمسئولية.

ومن أمثلة العدول الموجب للتعويض:

* طلب الخاطب أن تترك المخطوبة عملها الذي تتكسب منه كشرط لإتمام الزواج، ثم عدوله عن إتمام الزواج.
* طلب المخطوبة إعداد الخاطب لمسكن بمواصفات خاصة كشرط لإتمام الزواج، ثم عدولها عن الخطبة.

والأصل أن فسخ الخطبة لا يوجب التعويض إلا عن الضرر المادي، غير أن البعض يرى أنه إذا سبقه استغواء فإنه يلزم بالتعويض عن الضرر الأدبي.

الأدب عند الفسخ:

طلق رجل زوجته بسبب خلاف بينه وبينها، فسأله صديق له وهي في عدتها لماذا طلقتها؟

فقال الزوج: والله لا أفضح زوجتي أبدًا، إنها ما زالت في عدتها وهي زوجتي.

وبعدما انتهت العدة وتزوجت رجلا آخر، فسأله صديقه: لماذا طلقتها؟

فقال له الرجل الصالح: والله لا أتحدث عن زوجات الناس!!.

وهذا هو الفضل والمعروف الذي تحدث الله عنه ﴿وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والجميل في شريعة الإسلام أن لفظة الأسرة لا تعني ارتباط الزوج بزوجته ولكن لفظة الأسرة تعني الكيان الذي يتكون من خلال هذا الارتباط، فحتى إذا حصل انفصال بين الزوجين فما زال اسم الأسرة موجودًا، فما بالكم بالخطبة؟ تلك المرحلة الحساسة التي لا بد أن يدع كل طرف الآخر لحال سبيله ليبحث عن فرصة أخرى ما دام لم يستطيعا الاستمرار في مرحلة الأحلام.

وآداب الفسخ توجه أساسًا للخاطب؛ حيث إن المخطوبة -في الغالب- تكون أكثر تضررًا، ومنها:

١ - احرص على عدم التجريح وإفشاء الأسرار والخصوصيات.

٢- احرص على عدم التلفظ بما يشعر بالمعايرة والتنقيص.

٣- لا تتعالَ ولا تتكبر؛ فهذه ليست من شيم الرجال.

٤ - إذا كنتم أقرباء فلا تقطع عن صلة الرحم الأساسية.

وتذكروا:

تنوعت أشكال وطرق الخطبة في عصر القدوة؛ حيث كانت:

- عن طريق أهل المرأة.
- الحديث المباشر مع المرأة.
- عرض أهل المرأة على من يرضون دينه.
- الخطبة من كبير القوم.
- التعريض في زمن العدة.

واعلموا أن الخطبة وعد غير ملزم بالزواج، وحكمتها تدور حول تأكيد العزم على الزواج.

تذكروا أن: شروط العلاقة بين الخاطب والمخطوبة تقوم على ثلاثة موانع: لا خلوة، لا لمس، لا نظر إلى ما حرم الله.

واعلموا أنه: يباح النظر إلى ما لا يحرم، والكلام بالمعروف.

وتذكروا أن: استمرار النظر أثناء الخطبة جائز ولا يعني النظر بالعين فقط، ولكنه النظر إلى جميع أحوال الطرف الآخر للاطمئنان واتخاذ قرار العقد.

واعلموا أن: المخطوبة أيضًا تنظر.

وتذكروا أن: الكلام بالمعروف يعني عدم الانزلاق مع العاطفة إلى ما يحرم.

واعلموا أن: التليفون والخطابات تعني خلوة غير آمنة، وتعطي جرأة كاذبة لا حاجة لها في هذه المرحلة.

وتذكروا أن: العدول عن الخطبة جائز لكلا الطرفين دون تعويض، وتعود الأموال والهدايا إلى الخاطب إن كانت دفعت على سبيل المهر.

واعلموا أن: من شيم الرجال عدم ذكر الآخرين بالتجريح وإفشاء الأسرار.

* * *

الفصل الثاني

اللقــــاء الأول

الهدف الأساسي من اللقاء الأول هو (الرؤيا) إما لأول مرة أو التأكيد على أول مرة .. فتكون رؤيا متفحصة للتعارف المبدأي بين الطرفين وبين العائلتين.

أتحبـا لهــــا

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ أَحَـدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ». قَـالَ: فَخَطَبْـتُ جَارِيَةً، فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَـا وَتَزَوُّجِهَـا، فَتَزَوَّجْتُهَا.(١)

والرؤيا قبل اللقاء الأول مهمة جدًا، كما يبين الحديث فإذا استطاع الخاطب أو المخطوبة أن يرى كل واحد منهما الآخر قبل اللقاء الأول والذهاب إلى البيت يكون أفضل وأولى؛ حيث إن تلك الرؤيا المبدئية:

١- توفر قدرا كبيرا من المعلومات المبدئية حول الشكل الظاهري.
٢- تضفي مسحة من الود على اللقاء الأول.
٣- تزيل الكثير من التربص والتحفز، والشعور بالوقوع تحت الاختبار من الطرفين.

وهذه الرؤيا تكون بعلم الفتاة أو بغير علمها، بمجرد أن تراها من بعيد أو تراك من بعيد، أو تجلسا معًا في وجود ثالث لتبادل الحوار، كل هذا متروك لظروف كل حالة. والذي يقوم بالتوفيق بين الطرفين له دور كبير في صياغة الأمر صياغة لا تجرح أحد الطرفين.

من سيصحبك؟

من سيذهب معك في اللقاء الأول؟ والإجابة عن هذا السؤال تتحدد

(١) رواه أبو داود، كتاب (النكاح)، باب (في الرجل ينظر إلى المرأة وبريد تزوبجها)

من خلال ما عندك من معلومات.

أولا: إذا كانت معلوماتك وفيرة عمن رأيتها من قبل أو تكلمت معها وعرفت الكثير عن أسرتها وحالتها الاجتماعية والاقتصادية (يعني مررت بمرحلة اختيار ناجحة) فالأفضل أن يكون معك والدك ووالدتك، وإن لم يتواجدا فأخوك أو أختك الكبيرة. وهذا يضفي نوعا من العائلية على اللقاء الأول، وهذه الصحبة تعني الكثير؛ منها أن زيارتك هذه تعني أنك متخذ قرار الاستمرار منذ انتهاء فترة الاختيار.

ثانيًا: إذا كنت تراها أو تراك لأول مرة، فهذا اللقاء الأول يعتبر جزءا من مرحلة الاختيار، ففي هذه الحالة أقول لك: اذهب وحدك.

وانصحك في هذا اللقاء بالآتي[1]:

١- الملابس:

ارتداء أفضل ما عندك من ملابس، ويفضل الشكل الرسمي فيها.

وإياك والملابس التي لا تصلح إلا للنوادي والشواطئ. واهتم بتهذيب شعرك، وتعطَّر؛ فأي لمسة أناقة ستترجمها مخطوبتك إلى اهتمام.

(١) ستأتي نصائح اللقاء الأول للفتاة المخطوبة بعد صفحات.

٢- صلاة ركعتين:

عليك بصلاة ركعتين بنية قضاء حاجتك؛ فأنت مقدم على أهم قرار في حياتك، وبدون عون الله يأتي الخلل. وعليك بالاستغفار وذكر الله في طريقك.

٣- الالتزام بالموعد:

التزم بالموعد قدر الإمكان؛ فإن التبكير عن الموعد غير لائق ويضع الأسرة في حرج؛ فربما لم يستعدوا مبكرا، كما أن التأخير عنه يضعهم في قلق.

٤- الهدية:

احرص على أن تكون معك هدية لطيفة من الحلوى أو الشيكولاتة حسب إمكانياتك المادية، ولا تغالِ أو تبخل.

٥- آداب الاستئذان:

احرص على آداب الاستئذان ودخول البيوت، ولا تطلق بصرك في أنحاء المكان، ولا تجلس إلا في المكان الذي يأذنون لك به.

٦- الابتسامة:

حافظ على الابتسامة السعيدة على شفتيك، وامنع الصفير الذي في أذنيك حتى تستطيع أن تستمع إلى ما يدور حولك.

٧- تقديم الأهل:

قدِّمْ من معك مبتدءًا بالأكبر، مع تقديم من تعرفه من أسرة المخطوبة إلى من معك. وراعِ عند التقديم عدم استخدام لهجة التفاخر عند التعريف بالوظائف أو المراكز. واستخدم إشارات الاحترام عند تقديم الكبار.

٨- كن طبيعيا:

لا تضع ساقا على أخرى، ولا تعبث بمفاتيحك، ولا تعبث بشعرك كثيرًا، ولا تجلس مضموم القدمين كأنك تلميذ في مدرسة، أو متحفزًا كأنك ثعلب مخابرات. كن طبيعيا، وأظهر الصورة التي سيرونها بعد ذلك إذا تم الزواج.

٩- اهتم بها:

دع الفرصة لوالديك أو من هم معك ليقدموك إلى أهل العروس، واهتم جدا عند تقديم والدها أو والدتها لها.

١٠- اهتم بحديثها:

التفت إليها بوجهك وصدرك عند أي حديث يدور عنها، وحاول أن توجه إليها كلمة أو كلمتين، ولا تلح في أن تجعلها تتكلم.

١١- لا تتباسط:

لا تتباسط جدا في الحديث معها، والأفضل أن تناديها باسمها مسبوقًا بصفتها الوظيفية دكتورة أو مهندسة أو أستاذة أو آنسة.

١٢- لا تتكلف:

لن تستطيع تناول كل ما سيقدم لك من واجبات الضيافة في هذا اللقاء، ولكن لا تترك كل شيء. وحاول أن تظهر أنك مستجيب. ولا تظهر رأيك في أي شيء سيئ أو غير مقبول أو لا يوافق عاداتك. وحاول أن تبين استحسانك للمقدَّم دون تكلف أو مغالاة.

١٣- لا تنفعل:

احتفظ بهدوئك، فلا تنفعل من قول أو تصرف لا يرضيك. وحاول ألا يظهر انفعالك السلبي على وجهك.

١٤- تسلل بنظراتك:

لا تحاصر العروس بنظراتك ولا تَرْجُمْها بابتساماتك، ولكن كن لبقًا وتسلل بنظراتك لترى ما يدعوك إلى الاستمرار دون أن يشعر أحد. وتواجد مع الجميع ولا تنعزل بنظراتك نحو عروسك عن اللقاء.

١٥- كن مجاملا:

لا تتجاهل أحد الجالسين مثل الأخ أو الأخت؛ وخاصة في وجود الأب أو الأم. وحاول أن تكون مجاملا إلى أبعد حد. والْتَقِط الحديث من أفواههم وأعنهم على الاستمرار.

١٦- استمتع بالحوار:

لا تشعر أنك في تحقيق، ومطلوب أن تجيب عن أسئلتهم بما يجعلك في أحسن صورة، ولكن اعتبر أنه حوار شيق، وحوِّل الأسئلة إلى شكل حوار بأي وسيلة، مثل: ما رأيك أنت؟، أظنك تعرف الإجابة أكثر مني، ليتك تساعدني في أن أجيب عن هذا السؤال..وهكذا. واحذر من المبالغة في استخدام الألفاظ الشبابية التي لن يفهمها الكبار.

١٧- حدد وقتك:

حدد لنفسك وقتا للانصراف، ولا تجعل الحديث مديرَ اللقاء، ولا تنظر إلى ساعتك كثيرًا. نبّه إلى رغبتك في الانصراف قبلها بربع ساعة، وحاول لَمّ شمل الموضوعات في هذا الوقت.

١٨- لمّح بموافقتك:

اجعل المبادرة منك إذا كنت ستستمر؛ بأن تخبرهم أنك ستتصل بهم مرة أخرى، وأنك ستنتظر أن يفكروا في الأمر. لمح بموافقتك المبدئية إن كنت موافقا.

١٩- لا تفر:

إن لم تكن موافقا فإياك أن تترك أثرًا سيئًا. وفي الوقت نفسه إياك أن تترك أملا معلقًا. لا تتخلَّ عن ابتسامتك وأنت تقول لوالدها أو والدتها: لقد سعدت بكم جدا في هذه الدقائق، وأرجو أن يوفقنا الله للقاء آخر. شدّ على أيديهم بحرارة وود، ولا تعطهم ظهرك كأنك تفر.

٢٠- اترك أثرًا طيبًا:

وفي النهاية أقول لك بل أرجوك: في كافة الأحوال اترك أثرًا طيبًا.

***

المخطوبة في اللقاء الأول

بهذا نكون قد أطلنا الكلام مع الشباب عن اللقاء الأول، وأعرف أن الفتاة منتظرة لتسمع منا مجموعة من النصائح في هذا اللقاء، فنقول لها:

أنت في هذا اللقاء إما أن تكوني رأيتيه من قبل أو أنك لم تريه من قبل أو رأيتيه في لقاء عابر سريع، أو وُصِفَ لك أو بأي شكل من الأشكال.

ومن المفروض في اللقاء الأول أن تكوني أولا مجموعة من الصفات الأساسية الظاهرية تتوافق بشدة مع ما وضعتيه لنفسك من شروط؛ يعني مثلا: أن تكوني قد وضعت شرطا بأن يكون متدينًا، ويصلك عنه أنه لا يصلي، ثم تقولين: أود أن أراه. ماذا ستفعلين برؤيته هنا؟! أو مثلا يكون شرطك الأساسي أن يكون ذا مؤهل عال وهو مؤهله متوسط، ثم تقولين: أود أن أراه!! هذا لا ينفع، لا بد أن تكون هناك مؤهلات أساسية لتوافقي على هذا اللقاء الأول، وهي:

أ- أن تكوني موافقة على صفاته من حيث المبدأ.

ب- أن تكوني قد صليت صلاة استخارة، ووجدتِ في نفسك قبولا مبدئيًا.

وإليك مجموعة من النصائح التي أنصحك بها، وأظن أن عند والدتك نصائح أكثر من هذه فاستفيدي منها:

عليك في هذا اللقاء بالآتي:

١- الاسترخاء:

لا ترهقي نفسك ذلك اليوم بعمل أو شد عصبي، وأعدي مستلزمات اللقاء قبل موعده بساعتين على الأقل. واهتمي بنظام مكان الاستقبال وباللمسات الجميلة؛ فأي لمسة جمال سيترجمها هو ومن معه إلى اهتمام. حاولي أن تنامي ساعة أو أكثر بعد الظهر.

٢- الملابس:

ارتدي أفضل ما عندك من ثياب، واهتمي بتناسق الألوان؛ فإن الاحتشام لا يعني عدم الاهتمام بالمظهر الجميل.

٣- تزيني بالوضوء:

قال أب ينصح ابنته: اعلمي يا بنتي أن خير الزينة الوضوء، فتوضئي قبل الدخول مباشرة، وأعلمي أنه ليس محذور أن تكوني في أبهى صورة في ذلك اليوم.

فهذه سبيعة تتجمل بنية الخطبة ولا ينهاها أحد..

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الأَسْلَمِيَّةِ كَانَتْ زوجة سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ -وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا- تُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ. فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ -رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ- فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تَرْتَجِينَ النِّكَاحَ؟ إِنكِ وَاللَّهِ مَا أَنتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ.

قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوِيجِ إِنْ بَدَا لِي».[1]

---

(١) رواه أبو داود، كتاب (الطلاق)، باب (في عدة الحامل).

ولن أحدثك عن المحرم أو المكروه في الزينة[1] ولكن أصل الزينة جائز.

٤- الدعاء:

أكثري من دعاء «اللهم دبر أمري فإني لا أحسن التدبير»، وأكثري من قولك: (لا حول ولا قوة إلا بالله). واسألي الله التوفيق؛ لأنك مقدمة على أهم قرار في حياتك، ويمكنك أن تصلي ركعتي الاستخارة مرة أخرى وتدعي بدعائها.

٥- اضبطي وقت دخولك:

لا تتأخري كثيرًا في الدخول على ضيوفك؛ وذلك بالاتفاق مع والدتك، وادخلي بعد دخول الوالدين والأخوة والأخوات والاستئناس بينهم.

٦- الجدُّ مع الابتسامة:

التزمي الجد، وانظري إلى المتقدِّم عندما تلقين السلام، وزيني شفتيك بابتسامة رقيقة غير مفتعلة، واحذري أن تكوني منفتحة أكثر من اللازم أو منغلقة أكثر من اللازم.

٧- اطمئني:

امنعي دقات قلبك وصفير أذنيك، ولا تهتمي بشيء من حولك؛

(١) للتعرف على الزينة المحرمة او المكروهة راجعي للمؤلف كتاب (زينة المرأة حسن الخلق) من سلسلة (المرأة وإدارة الذات).

فأمك ستقوم بكل شيء، ولا تبدي ملاحظات، فقط اجلسي في الكرسي المقابل له.

٨- كوني مجاملة وبسيطة:

اشتركي في الحديث عندما يدور حول أشياء عامة، وتباسطي مع أمه وأخته إن كانت معه وقدّري أباه، ولا تتجاهلي أحدا من الحاضرين معه؛ وخاصة إذا وجه إليك الحديث. كوني مجاملة قدر الإمكان؛ فهذا ليس وقت إحقاق الحق أو النهي عن المنكر.

٩- انظري:

لا تدفني عينيك في صدرك؛ فمطلوب منك أن تبدي رأيك بعد ذلك في شكله ومظهره الخارجي. تسللي بنظراتك عندما يكون مشغولا عنك، وكوّني صورة له في مخيلتك تبنين عليها رأيك.

١٠- أدب الحديث:

التزمي بأدب الحديث، وأكثري من الكلمات الدالة على الذوق، مثل: «من فضلك»، «حضرتك»، «لو سمحت». ونادِ الجالسين بألقابهم «دكتور»، «مهندس»، «أستاذ»، ومن في سنك من البنات بأسمائهن المجردة من الألقاب.

١١- احذري:

احذري استخدام هذه الألفاظ: «يا بني»، «يا سلام!!»، «طنش»، «يا حاجة، أو يا حاج»، «أنت»، «يعني إيه»، «مش فاهمة»، «يا أخ». وإياك والضحك بصوت عالٍ.

١٢- الذوق:

احذري استخدام تعبيرات الوجه وحركات الشفاه في الاستهجان، مثل قلب الشفتين أو مصمصتها أو اتساع العينين.

١٣- رحبي بهم:

لا تصبين الأسئلة صبًّا في هذا اللقاء، ورحبي بالموجودين، وابتسمي في وجوههم مهما كان قرارك؛ فإنهم ضيوفك، والكريم من أحسن استقبال ضيوفه.

١٤- اللباقة:

لا تتلعثمي إذا وجه إليك سؤالا، وحاولي أن تكوني لبقة عند الإجابة. ولا تعطي إجابات قطعية أو قرارات لا رجعة فيها، وأحيلي تدبير الأمور إلى الزمن وشدة التعارف؛ فلا زالت الحياة ممتدة.

١٥- لا تتعجلي:

لا مانع من إظهار الموافقة المبدئية بلفظة أو لمحة بينك وبين أمه أو أخته. ولكن لا تتعجلي بالموافقة الكاملة، وأعطِ لنفسك فرصة للتفكير ومراجعة الوالدين.

١٦- ولا تتمنعي:

لا يخفى على أمٍّ خبيرة أو أخت كبيرة للخاطب ذلك التمنع الكاذب الذي تبديه بعضُ الراغبات؛ فكوني طبيعية، وأظهري اهتمامك وترحيبك بالعائلة إجمالا وبالموضوع بالكامل؛ فهذا لن يجرح كرامتك.

١٧- لا تفري:

لا تتحركي بما يدل على طول مدة الزيادة أو الرغبة في الانصراف،

وعند الانصراف كوني في وداع والدته وأخواته، وأظهري سعادتك بزيارتهم، ولا تعطيهم ظهرك كأنك تودين التخلص منهم.

١٨- اتركي أثرًا طيبًا:

وأقول لك في النهاية بل أرجوك: في كافة الأحوال اتركي أثرًا طيبًا.

الفصل الثالث

الاتفاق - التأكد - التقارب

من أكبر أخطاء المرأة

(أن يعجبها كلام الرجل فتوافق على الزواج منه)

ولو سألنا شابًا تقدم لخطبة فتاة أو فتاة تقدم لها شاب ورأته ورآها بعد اللقاء الأول أو الثاني: ما رأيكما؟

فالإجابة غالبًا: والله لا أعرف، لم أكوِّن فكرة بعد.

وهذا التردد ليس عيبًا؛ بل هو شيء طبيعي. فعلى أهل الطرفين ألا يستعجلوا الرد.

أعط المرحلة حقها

في الاختيار هناك صفات أساسية يضعها كل من الفتى والفتاة في المتقدم[١]، ومن الممكن أن نقسم هذه الصفات بالنسبة لمعرفة كل طرف لها من خلال المرحلة كالآتي:

١- صفات يتعرف عليها الطرفان بنسبة ١٠٠٪ في فترة الاختيار،

وذلك قبل اللقاء الأول مثل:

أ- الشكل الخارجي: فمن الممكن أن يراها وهي ذاهبة أو راجعة في طريقها للعمل أو المدرسة أو الكلية... إلخ.

ب- الوضع الاجتماعي: وذلك بالسؤال عنها.

ج- فرق السن.

د- الدرجة الدراسية.

هـ- الوضع الاقتصادي.

والفتاة أيضًا لديها نفس الفرصة إذا كانت تعرف شيئا عن المتقدم.

٢- صفات يتعرف عليها بنسبة ٥٠٪ في فترة الخطبة

مثل التدين: فهذا رجل يصلي أو يصوم مثل أي مسلم، أو هي ملتزمة بالاحتشام مثل أي مسلمة، ولكن مدى التدين ومدى الالتزام بشرع الله -سبحانه وتعالى- لا نستطيع أن نعرفه في فترة (الخطبة)؛ لأن في هذه الفترة (فترة الخطبة) يتجمل كل واحد

(١) راجع التدريب العملي على الاختيار في الباب الأول.

فيهما ويظهر أفضل ما عنده، فيتم التعرف على ٥٠٪ فقط من مثل هذه الأمور.

مثال آخر:

الأخلاق: فمن الممكن أن نعرفه كريمًا في موقف، لكن هل هو بخيل عند الشدة؟ هل ينفعل (تنفعل) لدرجة الغضب؟ ما مدى غضبه؟ هل هو (هي) من النوع العصبي؟ هل ينفلت لسانه (لسانها) ببعض الكلام؟ كل هذا نتعرف عليه بنسبة ٥٠٪، ولا أعدكما بأنكما في فترة الخطبة ستتعرفان بنسبة ١٠٠٪ على مثل هذه الصفات.

٣- هناك صفات لا يمكن التعرف عليها إلا بعد العَقْد.

٤- صفات لا يمكن التعرف عليها إلا بعد الزواج؛ مثل نسبة كبيرة جدا

من ملامح الشخصية، والذوق، والهوايات الخاصة التي يهواها ويحبها الطرف الآخر، والعادات والتقاليد والطباع، وخاصة الأمور الباطنة... إلخ.

فالخطبة مرحلة استكمال للمعلومات الناقصة في فترة الاختيار لتساعد الطرفين على اتخاذ قرار الزواج، في كل هذه المراحل التي يمر عليها الزواج تكون وسائل التعرف حسب حدود كل مرحلة، فتعطي كما تراكميا من المعرفة لتتكون الصورة شبه الكاملة.

ومن وسائل هذا التعارف:

السؤال: ويكون في مرحلة الاختيار والخطبة غالبًا.

التقرب والاقتراب: يكون في مرحلة الخطبة والعَقْد غالبًا.

التعامل والامتزاج: يكون في مرحلة العقد والزواج.

وعلى هذا، فإن لمرحلة الخطبة مهمات أساسية لبناء البيت على قواعد قوية، وسوف نحدثكم في هذا الفصل عن مهمات ثلاث لفترة الخطبة هي من أهم مهماتها:

١- الاتفاق.

٢- التأكـــد.

٣- التقـــارب.(١)

(١) الحوار مفتوح بيننا أعزائي الشباب والشابات، وقد تجدون مهمات أخرى، أو توسعا في تلك المهمات الثلاث، وانتظر إضافاتكم على بريدي الإلكتروني:
akramrda@hotmail.com – akramrda@gawab.com

المهمة الأولى: الاتفاق

عند الحديث عن الاختيار كانت الإجابة عن سؤال (متى؟) هي: عندما تتوفر الباءة..

وأنت الآن تأكدت من توفر إمكانيات الزواج لديك، وعندك تخطيط مبدئي -بالمتوفر معك الآن- وبعض ملامح المستقبل. ودفعك إلى التقدم اعتمادك على الله وإيمانك بأن ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات: ٢٢]، وإيمانك بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[النور:٣٢].

ومع ذلك فقد اجتهدت بقدر المستطاع للاستجابة لأمر النبي ﷺ في تحصيل الباءة كما وصى بها الشباب:

قَالَ عَبْدُ اللهِ[١]: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ».[٢]

فأنت الآن أهل أن تتفق، وقبل أن تجلس هذا المجلس عليك أن تعلم جيدًا حجم مساعدة والدك لك.

متى يبدأ الاتفاق؟

هناك رأيان:

الأول: يحبذ أن يبكر بالاتفاق قبل التآلف واستمرار اللقاءات؛ بل

---

(١) عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه البخاري، كتاب (الصوم)، باب (الصوم لمن خاف على نفسه العزبة).

ويفضل أن يكون من اليوم الأول؛ حيث إن الاتفاق يعتبر عاملا مهما في الاستمرار، والخاطب وأهله في الغالب هم أصحاب هذا الرأي.

والرأي الثاني:

يرى تعميق التعارف والوصول إلى التآلف والتفاهم قبل الاتفاق؛ ليكون أسهل في القبول والرد والتنازل والتضحية في سبيل الآخر. وأهل المخطوبة يكونون في الغالب أميل لهذا الرأي.

وأصحاب الرأي الأول: يرون أنه الأفضل حتى إذا حدث انفصال لا يسبب ذلك ألما عاطفيا؛ خاصة بعد دخول البيوت.

وأصحاب الرأي الثاني: يرون أنه الأفضل، وحتى لو حدث انفصال لا يكون بسبب مادي وإنما لعيب حقيقي في الشخصيات.

ولكل رأي مزايا تؤيده، وكلاهما فيه عيوب ترفضه. فلا نرجح واحدا على الآخر، ولكن ننصح -أيا كان الرأي- أن يكون هناك اتفاق مبدئي في بداية الأمر بل قبل بدايته، وذلك عن طريق الوسيط بينهم والذي يعرض على أهل المخطوبة إمكانيات الخاطب، وكذلك يعرض على الخاطب استعداداتهم واحتياجاتهم. فإذا حدث الاتفاق المبدئي حول هذه الأمور الرئيسية كان الكلام في الجزئيات أسهل وألين وأوفق في الاتفاق.

وأهم الخطوط العامة التي لا بد أن يُتَّفق عليها في البداية:

١- هل يملك مسكنا أم لا؟

إن كانت الإجابة بنعم، فما موقعه ومساحته؟ وهل هو إيجار أم تمليك؟ وهل سدد ثمنه كله أم عليه أقساط؟

وإن كانت الإجابة بـ(لا)، فما خطته في الحصول على مسكن؟

وهل لأهل العروس طلبات معينة وشروط في المسكن؟

٢- **هل سيدفع مهرا؟** وما قيمته تقريبًا؟ وهل سيدفعه نقدًا ويقوم أهل العروس بالتجهيز، أم سيشارك بقيمته في شراء أثاث معين؟ وما الحد الأدنى الذي لا يرضي أهل العروس أن يتنازلوا عنه؟

٣- **قدرة المتقدم على التجهيز.** أو ما الشكل المبدئي الذي يعرضه للجهاز؟

وكذلك وجهة نظر أهل العروس في موضوع التجهيز.

عليك بالصراحة والوضوح:

- فلا تغرق في الوعود.. أعرض الواقع بدقة، واسأل الله

المستقبل، ولا تعد وعودا براقة. واحذر.. فإن الكذب ينكشف سريعًا ويحفر أخاديد في العلاقة.

- ولا تغرق في الغموض وتجعل أمورك مفاجآت. نعم قد تكون سارة، ولكن ستنزع فتيل الطمأنينة من القلوب.

فلا تقل لن أحضر ثلاجة وأنت تنوي أن تشتري ثلاجة فخمة

ولكن قل سأحضر ثلاجة ترضيكم.

بالتفصيل:

الآن لا بد من الحديث عن المفردات الخاصة بالاتفاق، سواء ستقوم بذلك في بداية الخطبة أم قبل العقد مباشرة.

والبعض يرى أن يؤجل الاتفاق على الجزئيات إلى وقتها بعد الاتفاق المبدئي على العموميات، مثل أن نتفق على الجهاز عندما نذهب لشرائه، وعلى (الشبكة) عند الصائغ، وعلى المؤخر وقائمة المنقولات أمام المأذون؛ حتى يكون الأطراف أمام الأمر الواقع!!.

أقول لكم: **إن أصل الزواج اتفاق، والاتفاق الناجح يقوم على التشاور والتناصح والحوار. وكل الأمور مطروحة للأخذ والرد ما دامت لا تدخل تحت مخالفة لحكم شرعي.**

بلا خجل

ولذلك أدعو كل عريس وولي عروس ألا يتسرب الخجل إلى شروطهم، وكل منهم يعرض أمره بوضوح، وكل منهم يعلم أن الطرف الآخر يرفض أو يوافق على الشروط وليس على الموضوع من أصله.

ولا يعلق أحد منهما الموضوع على أحد الشروط؛ فيمكن التفاهم والتنازل عن كثير من الشروط المعوِّقة، ولا تتركوا شيئًا للمفاجآت.

وأنصح العريس

إن من التزاماتك ومسئولياتك أن تعد بيتًا للزوجية، وما سيقدمه والد العروس هو نوع من الهدية لابنته تقبله منه شاكرًا جزيل الشكر. وكل ما تستطيع فعله أن تكون مخلصًا عندما تقول: هذه إمكانياتي!!

ومعنى أن تجهيز البيت من التزاماتك ومسئولياتك العريس وحده، فلا يجب أن يتدخل والد العروس فيما يحضره إلا بالنصح، ولا يطالبه بأكثر من إمكانياته.

مفردات الاتفاق

والآن هذه هي المفردات التي يجب الانتهاء منها والاتفاق عليها بوضوح، وقد نكون عرضنا بعضها في الاتفاق المبدئي، ولكن هنا يجب الحديث عنها بالتفصيل:

أولا: المهر.

- هل ستدفع مهرا؟
- ما قيمته؟
- ما قيمة المقدَّم منه والمؤخر؟
- متى سيسلم المقدم؟
- أم أنك لن تدفع مهرا وسيكون جزءا من الجهاز؟

ثانيا: الجهاز.

- هل المهر الذي دفعته مقابل أن يقوم الطرف الآخر بالتجهيز بالكامل أم أنك ستجهز جزءا بجانب هذا المهر.
- وما هذا الجزء بالضبط، وما قيمته بالتقريب؟

وإن لم تدفع مهرا نقديا، واتفقت على أن يكون جهازك هو المهر..

- فهل ستكون مسئولا عن الجهاز بأكمله؟
- أم أنك ستجهز جزءا والطرف الآخر الباقي؟
- وما الجزء المطلوب منك ومنهم بالضبط؟

- أم أنك ستجهز ما تستطيع تجهيزه (وتحدده)، وعلى الطرف الآخر تجهيز ما يستطيعه (ويحدده)، والباقي أنت مسئول عنه بعد الزواج؟

ونوجد هنا بعض ملاحظات:

١- لا تُجْمِل:

يجب أن يكون الكلام بالتفصيل وليس إجمالا؛ كأن تقول مثلا: وأنتم عليكم (الرفايع) فما هي هذه الرفايع؟ أو تقول: أنا عليَّ حجرة النوم مثلا، فماذا تعني حجرة النوم؟ هل هي الخشب أم الخشب والفَرْش أم ذلك كله والستائر والسجاد والنجف؟[١]

٢- احترم العُرْف السائد:

الأعراف السائدة في بعض البيئات يجب أن تحترم وتوضع في الاعتبار دون إرهاق أو تعسير أو استغلال؛ فمثلا هناك بعض التقسيمات للجهاز مثل المطبخ الخشب على العريس مثلا أو أدوات المطبخ على العروس مثلا.

قسمة عجيبة:

نكتة سمعتها من أحد المتقدمين للزواج حدثت أثناء اتفاقه، فقد انبرى أحد الموجودين بعد حوار طويل وقال: يا جماعة، الزوج يحضر المطبخ الخشب والزوجة تملؤه بالأدوات التي ستستخدمها. والزوج يحضر

(١) قد يرى البعض أن هذه أمور صغيرة.. ولكننا رأينا زيجات تتحطم عند المأذون بسبب مثل هذه الصغائر، بل رأينا مشكلات زوجية مزمنة بسبب اختلاف وجهات النظر حول هذه الصغائر !!.

الأدوات الكهربائية والزوجة تعمل عليها وتقضي له احتياجاته عن طريقها. والزوج يحضر حجرة الطعام (السفرة) والزوجة تضع فيها أدواتها وتضع على مائدتها الطعام الذي أعدته له. والزوجة تحضر حجرة الضيوف والزوج يملؤها ضيوفا. والاثنان يشتركان في حجرة النوم؛ حيث سينامان عليها معًا. وكل واحد منهما يحضر ملابسه، أما حجرة الأولاد فيحضرها الزوج بعد الزواج، وتملؤها الزوجة أولادًا.

فوجدتها فكرة جميلة وحلا طريفًا لجدال قد لا ينقطع.

ثالثا: الشّبْكة.

ما مقدار هذه الشبكة؟

- هل يقبل أن يضيف أهل الفتاة فوق ما اتفق عليه؟ وإذا قبل فكيف ستكون الصورة عند الشراء؟ هل سيقدمه أهل الفتاة كهدية عينية منفصلة عن الشبكة، أم أنه سيكون مبلغا نقديا يدخل كله في شبكة واحدة؟

رابعا: موعد العَقْد.

هل سيتم قبل البناء، أم أنه سيعقد مع البناء؟ وما المدة الزمنية بينه وبين البناء إن عقد قبله؟

خامسا: المسموح به أثناء العقد.

وهو أمر هام لا بد أن يسأل عنه العريس، ويبينه وليُّ العروس جيدًا حسب عاداتهم وتقاليدهم والبيئة المحيطة والأعراف السائدة. وما مدى حق العريس بالمطالبة بتجاوز هذه الحدود بحجة الشرع.(١)

سادسا: مؤخر الصداق.

قلنا عند الحديث عن المهر: إنه يجوز تأخير جزء منه. فيجب الاتفاق على طريقة كتابته، هل سيكتب في العقد أم سيكتب منفصلا في إيصال مثلا.

وهناك شكل آخر من أشكال كتابة المؤخر، بأن يتفق على كتابة مبلغ معين في العقد كمؤخر صداق لا يستحق السداد إلا عند الطلاق أو موت الزوج.

وأحب أن أوضح أن هذا المبلغ أو ما اتفق عليه أن يؤجل من المهر يعتبر دينا في رقبة الزوج لزوجته يجب سداده ويجب إعطاؤه ما يثبت السداد، وإن توفيت وجب على الزوج سداده لورثتها الشرعيين، إلا إذا

---

(١) في إصدار قادم إن شاء الله ستتحدث حول مرحلة العقد، وتبين بعض الأوهام المتعلقة بحدود هذه المرحلة والمسموح والممنوع فيها، وموقف الشرع منها.

تنازلت هي لـه عنـه بوثيقـة مكتوبـة أثنـاء حياتهـا، وأظنهـا فرصـة لتنفيـذ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

فيجب أن يتم الاتفاق على قيمة هذا المبلغ من البداية، ولا يؤخر الكلام فيه لحين كتابة العقد، فهذا يولد الكثير من البغضاء وسوء الظن وعدم سلامة الصدر عند الطرفين.

وكثيرا ما يسكت (العِرْسان) عن هذا الموضوع ظنًا أن ولي العروس لن يطلبه ما دام لم يتكلم فيه، فيفاجأ به أثناء العقد يحدثه فيه، ويطالبه بالموافقة على المبلغ الذي يعرضه. وكم من زيجات انصرف مأذونها بلا عقد بسبب هذا الأمر!!

سابعا: قائمة الجهاز.

من المتعارف عليه أن يطلب ولي العروس من الزوج أن يكتب قائمة بما تم تجهيزه في بيته. فلا بد من إنهاء هذا الأمر والاتفاق على تفاصيله؛ حيث إن هذا الجهاز هو قيمة مهر الزوجة الذي لم تقبضه، ولكن تم الاتفاق على أن تشارك به زوجها في الجهاز بجوار ما أحضره والدها لها كهدية شخصية تخصها، وهو موجود في بيت الزوج فيعتبر أمانة عنده ما دامت الحياة الزوجية.

هل سيكتب كل شيء تم إحضاره، أم سيضاف عليه ما لم يتم إحضاره ولكن هناك وعد به، أم هل سيكتب ما أحضرته العروس فقط دون ما أحضره العريس، أم سيكتب ما يساوي المهر المتفق عليه بينهما؟

هل ستكون القائمة عبارة عن مفردات تفصيلية لما هو موجود فعلا، أم أنها عبارة عن إجمالي للموجود وتحديد سعر له؛ بحيث يكون مجموعها مبلغا معينا؟ ويجب الاتفاق على قيمة هذا المبلغ.

إذا تم كتابة مفردات، هل ستكتب الأشياء المعمَّرة فقط أم سيضاف إليها ما يتعرض غالبًا للكسر كأطقم الصيني، وما يتعرض للتلف كالمفروشات؟

كل هذا يجب الاتفاق عليه والحديث بدون خجل حوله، مع التراضي قدر الإمكان؛ لأن الأمر أمر عشرة أولا وأخيرًا، ولن تستطيع أي قوة في الأرض إبقاء بيت لا يرغب طرفاه في الاستمرار، ولن تستطيع أي قوة أن تجبر زوجا غير كريم أن يكرم زوجته من أجل مؤخر أو قائمة مفروشات إلا إذا كان ذا خلق عال. ولنتذكر عند أي اتفاق قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]. فلنوجه أنفسنا عند الاتفاق نحو السماحة والرضا، ولابد أن يدرك العريس أن الأب لا يطلب شيء لنفسه.. بل هو يظن أنه يحفظ لابنته بعض الحقوق فلا يلومه في ذلك بل يظهر له دائمًا حسن الظن وسعة الصدر واستعداده لتقديم جميع الضمانات.. ومما يدعو إلى الابتسام ذلك الحوار العقيم بين الأطراف عند هذه الاتفاقات وتبادل الاتهامات..

- أنت لا تثق فيّ

- هل تنوي الخيانة؟

- هل تقيدوني ؟

- هل......

وهكذا ......

فقط كل من الطرفين يبين للآخر دائمًا أن هذه إجراءات لابد منها ويقبل كل طرف محاولته الآخر لضبط الأمور.

ثامنا: الاحتفالات.

أ- تحديدها.. هل ستكون حفلة للخطبة وأخرى للشبكة وثالثة للعقد ورابعة للبناء، أم ستُضَم بعضها إلى بعض؟

ب- من سيتولى التكاليف؟ هل ستقسم بالتساوي، أم سيكون العريس مسئولا عن حفلة والعروس عن الأخرى؟

ج- أماكنها، هل ستكون في فندق أم نادٍ أم قاعة مناسبات أم مسجد أم البيت؟

د- حجمها، هل ستكون صغيرة تضم أقل عدد من المدعوين أم ستكون متسعة تجمع الأسر والأصدقاء والجيران؟

هـ- شكلها، يجب على العريس أن يشترط على أولياء العروس - والعكس أيضًا- الالتزام في الأفراح، وأن يحدد بالضبط شكل الفرح الذي لا يخرج عما أمر به الله.

و- فستان العروس، وبقية مستلزماتها الشخصية في الفرح، من الذي سيشتريها؟ هل العريس أم والد العروس؟

يجب الاتفاق على ذلك أيضًا، فكم من مشكلة واجهناها بسبب ذلك؛ الزوجة تتهم زوجها بالبخل لأنه لم يحضر فستان الفرح بعد مرور

خمسة عشر عامًا على زواجهما[١]!!.

تاسعا: تأكيد العرف.

قلنا: إن العرف السائد والتقاليد يجب الالتزام بها ما لم تخالف نصًا في الشريعة معمولا به، فيجب تأكيد هذا المعنى وجعل العرف مرجعا عند الاختلاف.

ولكن هناك أمران:

١- تختلف الأعراف ليس من بلد إلى بلد بل من حي إلى حي لاتساع الحياة، فيجب أن جعل لنا مرجع وحكما من أكابر العائلة أو الأصدقاء ليحكم بتأكيد العرف عند الاختلاف.

٢- قد لا يخالف العرف نصًا صريحًا واضحًا، إنما يخالف نصًا عامًا من نصوص الشريعة؛ كأن يتعمد الأب تكبيل العريس بالتزامات مادية تقيد حقه في الانفصال إن شاء. أو يكون العرف مخالفًا لفهم الشرع ولكنه أكثر احتياطًا للزوجة؛ كأن يطالب العريس بحقوق المعاشرة الزوجية من عروسه قبل البناء وبعد العقد، باعتبار أن العقد كافي لإثبات هذه الحقوق، وسوف نتحدث عن هذه النقطة بتوسع عند الحديث عن فترة العقد في حلقة تالية إن شاء الله.

(١) اقرأوا مقال (زواج نخيل من نخيلة) في كتاب (أوراق الورد) للمؤلف.

الفتاة والإنفاق:

اعلم أن هذا ليس وقت النصائح، ولكنه وقت الأحلام الوردية. ولقد أضفت إلى سلسلة علاقاتك في الحياة لفظة خطيبي، وهي أمنية جميلة، ولكن أقول لك: إن إتقان اتخاذ القرار في الاختيار سيسهل عليك قرار قبولك للخطبة.

فهذا الشاب الذي قبلتِ أن يزورك اليوم ليتعرف على أسرتك فيه نسبة عالية من الصفات الأساسية التي تحدثنا حولها من قبل، ولكن لا يمنع هذا من:

النظرة المادية، فمن حقك الاستقرار المادي، ولكن دون إرهاق وإضاعة مال على المظاهر، ولا تنسي وصية النبي ﷺ: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مُئونة**».(١)

وأذكرك بأمرين:

* البساطة.
* المشاركة الكاملة للوالدين.

والطلبات المادية قائمة على أساسين:

الوالـــد	**الخاطـــب**
يحدد إمكانياته بالضبط	يحدد إمكانياته
للمشاركة في تجهيز ابنته.	بصدق ووضوح

(١) رواه الإمام أحمد، كتاب (باقي مسند الأنصار). ومئونة: أي مهرا وتكلفة

ومكانك في الاتفاقات دائماً خلف أبيك، تتشاورين معه، وتبينين أسباب قبولك أو رفضك، وتتفهمين وجهات نظره، وتنعمين بنتائج خبرته.

كل ما عليك أن تذكريه بقول رَسُول الله ﷺ: «إذا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ. قَالَ: «إذا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ. (١)

وذكريه بقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]

وشعاركم: (البركة في القناعة).

قدَّر اللهُ وما شاء فعل:

وإذا تدخل الأهل بصورة لا ترضيك فحاولي إقناعهم بألين السبل وأحسنها.

ولا تقفي منهم موقف النِّد الذي يعلم أكثر منهم، فإن اقتنعوا فبها ونعمت، وإن أبوا فشعارك (قدر الله وما شاء فعل).

فلا تنسي ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب (النكاح عن الرسول)، باب (ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه).

المهمة الثانية: التأكد والتعارف.

في مرحلة الاختيار يكون أكثر التعارف منصبا على الصفات الظاهرية التي يتم التعرف عليها بوسيلتين أساسيتين:

١- الرؤية.   ٢- السؤال.

بالإضافة إلى إمكانية التعرف على:

* مدى الالتزام
* وشيء من الأخلاق بنسبة ٢٠٪.

ويبقي للخطبة مهمة التأكد من الصفات السابقة، والتعرف على بقية الصفات الباطنة من خلال التعامل شبه المباشر.

وهذه الصفات هي:

١ - الدين.
٢- الأخلاق.
٣- الطباع.
٤- أسلوب التعامل.
٥- العادات والتقاليد.

وأضيف إلى ذلك: التعرف على ملامح الشخصية والمهارات الفردية.

ولا بد من بيان أن التعارف ليس فترة أو مرحلة، إنما هو موضوع يشغل مرحلة الخطبة كلها من أولها إلى آخرها. وكل يوم يعرفك على جديد في الطرف الآخر.

ابحث عن أم:

إن الحياة الزوجية في النهاية تصب في بيت يتكون من أب وأم وأولاد، وهو النموذج المتكرر في كل بيت. وهناك سؤال هام يجب أن تسأله لنفسك في مرحلة الخطبة: **هل هذه الفتاة تصلح أن تكون أمًّا؟**

إن الفتاة التي تصلح أن تكون أما لا بد أن تتوفر فيها أربع صفات أساسية:

١- قدر من الثقافة يؤهلها أن تكون واعية بتربية أبنائها وتنشئتهم التنشئة السليمة.

٢- قدر من التعليم يؤهلها أن تستطيع متابعة أبنائها في السنين الأولى من التعليم على الأقل.

٣- النظام (ربة بيت ماهرة)، ولا يعنى هذا القدرة على إعداد الطعام أو نظافة البيت فقط، إنما يضاف إلى ذلك:

أ- قدرتها على إدارة البيت إدارة مالية، فلا تكون فيها صفة التبذير أو الإسراف أو حب الكماليات.

ب- قدرتها على إدارة الوقت، بحيث تستطيع أن تشغل وقت فراغها بما يفيد بيتها ولا تقضيه أمام التليفزيون أو في الدردشة مع الجيران.

ج- وقدرة على حل المشكلات؛ وخاصة التي ستتولد من الاحتكاك الأسري في أول الزواج، ومشاكل الأولاد في سن طفولتهم ومراهقتهم.

٤- والمهارات النسائية، مثل:

* مهارات إعداد الطعام.

* مهارات الترتيب واللمسات الفنية.

* مهارات الزينة والمحافظة على الصحة والجمال.

أي أنها لا بد أن تكون:

* مثقفة الفكر.

* قادرة على الكسب.

* منظمة في شئونها.

* محافظة على وقتها.(١)

ولكن ما معنى [قادرة على الكسب]؟!

إن القدرة على الكسب لا تعني فقط كسب المال عن طريق العمل أو غيره، ولكن تعني أيضًا المحافظة عليه وتدبير إنفاقه.

والتعاون بين الزوجين في الإنفاق على البيت جزء من تعاونهم المتكامل في كافة جوانب الحياة، ولكن بتفاهم تام، ومعرفة حدود توجيهات الشرع في هذا المجال.(٢)

(١) لمزيد من اكتساب تلك المهارات، أنصح البنات بقراءة سلسلة (المرأة وإدارة الذات) للمؤلف.

(٢) راجعوا (الحلال الطيب.. واجبات المرأة ونحو الكسب والانفاق والإدخار) (وبيوت بلا ديون) كلاهما للمؤلف.

هل هو امتحان؟

ويجب ألا تشعر أنك ستدخل امتحانا، ومطلوب منك أن تطرح أسئلة وتتلقى الإجابات، ولكن يجب أن يكون ما يشغلك هو:

كيف تستطيع في فترة الخطبة أن تتعرف على كل ذلك وأنت تدرى ظروف هذه الفترة ومحظوراتها؟

فأن تعرف الإجابة على معظم هذه الأسئلة، وتطمئن لتلك المعلومات أمر هام جدا وفرصتك الأساسية هي فترة الخطبة، ولكن أن تجعله امتحانا فهذا هو المرفوض. نعم ستكون هناك أسئلة ولا بد لها من إجابات، ولكن هذه الأسئلة لك أنت تعدها في ذهنك وتحدد العناصر التي تريد التعرف عليها، ثم تعرضها واحدًا واحدًا، ليس في أسلوب سؤال وإنما من خلال النقاش الهادئ الرقراق الذي يدور غالبًا في فترة الخطبة، والموضوع يحتاج لباقتك وعدم تسرعك.

المهمة الثالثة: التقارب وآداب الخطبة.

من أهم أهداف فترة الخطبة أن تحدث القناعة شبه الكاملة لديك، وأن تستكمل مشروع ارتباطك.

وقد عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».

وبعيدًا عن التطرف في التعامل مع فترة الخطبة ما بين مضيِّق حتى الخناق وموسِّع حتى الانزلاق، فإن فترة الخطبة يتم فيها الاتفاق والتعارف كما بيَّنَّا من قبل، ولا بد أن تكون نهايتها التقارب.

وقد يظن بعض المتقدمين للزواج أن توسيع اللقاءات وتعددها هو السبيل الوحيد لحدوث هذا التقارب، وقد يسأل البعض متعجبًا:

كيف تستطيع التوفيق بين أهمية اللقاءات في فترة الخطبة لحدوث التقارب وبين تلك المحاذير الشرعية التي تضبط هذه الفترة؟

أو: كيف نحقق أحلام الخطبة؟

وبعض الناس يأخذون الحديث برومانسية كاملة، وأن في هذه الفترة لا بد أن يحدث من التقارب العاطفي ما يجعلهم يفكرون في استمرار الارتباط. والبعض الآخر يمنع تمامًا هذه الفكرة، ويقول كما قلنا من قبل: إن الخطبة كلها علاقة عقلية بحتة.

الحقيقة، نحن لا ننكر على الشاب والفتاة أن العاطفة في هذا الوقت لها دور؛ حيث إن مرحلة الشباب نهايات مرحلة المراهقة وبدايات مرحلة الرشد، وفيها يريد كل طرف من الطرفين أن يعرف الآخر، ويريد أن يحقق أحلامه،

هذه الأحلام مشروعة عندما تكون في شكل من أشكال الحلال وهي الخطبة، وفرق كبير أن يفكر الفتى في الحب وهما مخطوبان، وأن يفكر في هذه الأمور ويمارسها من خلال الحواري المظلمة والمغلقة والأرصفة.

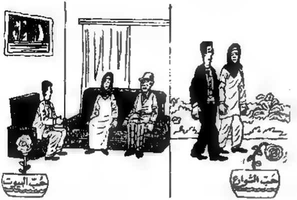

في الحالة الأولى الحب له بيئة جميلة هي بيئة الحلال، يستطيع أن ينمو هذا الحب فيها. أما الحالة الثانية فإن هذا الحب غير مشروع، فكل طرف يستشعر دائمًا أنه يسرق، وأنه لا يفعل شيئًا صحيحًا، وإن قدر لهما الارتباط تجد مشاكل شديدة جدا بينهما بسبب أن المعصية لها أثر لاحق، فنحن لا ننكر على الخطيبين أن يتحرك في قلبيهما الحب، وهنا لا بد من الحديث عن الضبط الشرعي لفترة الخطبة؛ نتفق عليه، ثم بعد ذلك ندع العقول تفكر والقلوب تنبض والأمور كلها تسير بكل هدوء، والأمر لله من قبل ومن بعد.

من أهم أهداف فترة الخطبة أن تحدث القناعة شبه الكاملة لدى الطرفين لاستكمال مشروع الارتباط، والنبي ﷺ عبر عن ذلك بقوله: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا».

وكنا قد قلنا قبل ذلك: إن معنى (انظر إليها) لا يشمل النظر بالعين،

ولكن ينظر في أمرها كله. (ويؤدم بينكما) أي يدوم الأمر بينكما، وتأخذان قرار الارتباط الشديد الذي لا انفصال بعده إن شاء الله.

ولذلك فنحن نريد أن نعرف **معنى التقارب في فترة الخطبة.**

على الخاطب والمخطوبة أن يتعرفا على كل ما يجعلهما يقدمان على النكاح من الناحية النفسية والجسمانية؛ حتى إن هناك من قال: يُظهر كل منهما عيوبه ومزاياه للآخر؛ ليضع أمامه أكبر قدر من المعلومات لاتخاذ القرار

كما حدث من أم سلمة عندما تقدم النبي ﷺ ليخطبها قالت: خَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي أَنْ لا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ، وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ.

فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي».

قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.(١)

«فالخطبة خطوة، وإن كانت غير ملزمة فهي هامة في طريق الإلزام،

---

(١) رواه الإمام أحمد، مسند (المدنيين).

ولهذا ينبغي أن تكون عن رغبة صادقة واقتناع بصير. وقد جعل الإسلام الخطبة وسيلة تعارف على الصفات الحسية والمعنوية لدى الطرفين؛ ليكون كل منهما على بينة من أمر صاحبه لتستمر الحياة وتستقر».(١)

وهذه البينة لا بد أن تكون مرتبة ومعروف أبعادها لدى الطرفين؛ فمنها ما يدرك بالنظر كجمال الهيئة وكمال الجسم (طولا وقصرًا، وامتلاء ونحافةً)، وطريقة المشية والجِلْسة.

أو يدرك بالسمع؛ كرخامة الصوت، ونداوة الحديث، وعذوبة الكلمة.

أو يدرك بالشم؛ كرائحة الفم والإبطين، وزهومة العرق، ونشاط الإفرازات.

وإذا لم يمكنه ذلك استحب له أن يبعث بامرأة يثق بها تنظر إليها وتخبره بصفتها.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ تَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ، فَقَالَ: «شُمِّي عَوَارِضَهَا، وَانْظُرِي إِلَى عُرْقُوبِهَا». وفي رواية: «شمي معاطفها».(٢)

وقد يكون معنويًا، وطريق ذلك البحث والتحري بواسطة الأهل والأقارب؛ كحسن الخلق، وطيب الأحدوثة، وشدة الورع والتدين، والبصر بأعمال البيت والشعور بالمسئولية، وهذا ما يوحي به قول رسولنا

---

(١) سعاد صالح، مرجع سابق، ص ٣١.
(٢) رواه أحمد، مسند (المكثرين). والمعاطف: ناحية الإبطين والعنق. والعوارض هي الأسنان. والعرقوب هو أسفل الساق.

الكريم ﷺ: « إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ ».(١)

وللخاطب أن يعيد النظرة واللقاء بالمخطوبة مثنى وثلاث، شريطة أن يكون ذلك اللقاء مع وجود المحرم حتى تتشبع نفسه بتوافر الصورة الحسية والمعنوية فيقتنع الطرفان بإتمام الزواج.

انسحب أفضل لك

قد تكون قد اتخذت قرارًا الآن بأن تستمر، وهذا شيء جميل، ووجدت في مخطوبتك الكثير مما تحب، ولكن أجدك مترددا بعض الشيء، وهناك شيء في صدرك يبرق بالتمهل. أريد أن أساعدك أكثر، فأقول لك: اقرأ هذه الصفات، فإذا وجدت أكثر من ثلاث صفات منها موجودة في خطيبتك أنصحك: انسحب خيرا لك.

١- البائسة:

ناقمة على الدنيا، متشائمة، دائمة التسخط، ويتضح ذلك من كلماتها المرتدية ثوبًا أسود دائمًا؛

(١) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب (في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها).

فهي لا تعرف كلمات مثل الفرح والمرح والسرور والرضا، ولا تدرك معنى الابتسامة، بل لا تعرف كيف تؤديها أصلا.

٢- المتحررة:

تحب الخروج من البيت؛ بل لا تطيق المكث فيه. تعرف مكان النادي والحفلة والرحلة جيدًا. دائمة المقارنة بين ما هي فيه من ضيق وبين ما لدى أخيها الشاب من تحرر، فهو لا يعود إلى البيت إلا بعد منتصف الليل. وشعارها «أنا حرة».

٣- المتسلطة:

التي لا ترى إلا فعلها، ولا تسمع إلا كلمتها، ولا يرضيها إلا رأيها؛ بل ويجب على الطرف الآخر حتى تسير سفينة الحياة أن يتبع ما تقول حتى ينجو.

٤- الإمعة:

كثيرة التلفت بحثًا عن رأي؛ فهي لا رأي لها. ترى أن كل ما يقوله أهلها صحيح، وترده دون تفكير، وترى أن ما يقوله زوجها صحيح، وكل ما تقوله صديقتها صحيح، إنها ظل الآخرين الذي يتهاوى عندما ينصرفون.

٥- الأم:

اللهفة الشديدة عليك، والهلع غير المبرر عند غيابك أو تعرضك لأذى. الاهتمام المبالغ فيه عند أي بادرة حزن منك، نهر الحنان الجارف. يشعر زوجها أنه طفلها الصغير؛ بل الطفل اليتيم الذي لا أم له.

لقد بحث عن زوجة يباشر معها رشده، فإذا هو مع أم تقيده في طفولته.

٦- البراقة:

لقد ازداد نور الحجرة إضاءة عندما دخلت، وإذا بها تلتفت بشدة لتبدي عدم رضاها عن تناسق ألوان ثياب زوجها.

الجمال عندها كل جديد مبهر، ورداء الأمس قديم لا يمكن أن ترتديه اليوم.

تلبس للناس وتنتظر رأيهم، تفرح عند إطرائهم، وتصب اللعنات عند تجاهلهم بريقَها.

٧- المثقفة جدا.

وإن كانت هذه ميزة؛ أن تكون الفتاة مثقفة، إلا أن حفيف أوراق الشجر، وتلاطم أمواج النيل الرقراقة، وزقزقات العصافير حولهما في تلك الجلسة المسائية الجميلة قد بدا فيها نشاز ذلك الموضوع التي طرحته حول اكتشاف شريط الجينات البشرية (الجينوم)، وكيفية تأثيره في مسيرة الحضارة. ولم يكن هناك داع أبدا لتلك الصرخة الهلعة من شفتيها، وأن تسحب كفيها الرقيقة من بين كفيه عندما نطق

زوجها (كروموسوم) خطأ، أو عندما تجاهل مشكلة ثقب الأوزون.

٨- العصبية:

وتقول وكأنها تفتخر: (أنا عصبية). ويظن ساعتها أنها تحاول تنبيهه ليغفر لها بعض الحدة، ولكن عندما رأى ذلك الكوب الطائر ليتهشم على الحائط المقابل، عرف أنه ليس تنبيه وإنما هو تهديد.

وأدرك حجم الأطباق التي سوف تتحطم فوق رأسه لأتفه الأسباب.

٩- المتوولة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ».[1]

والتولة: هي التشاؤم، وتستخدم كلمة (المتولة) في لغتنا العامية

---

(١) رواه أبو داود، كتاب (الطب)، باب (في تعليق التمائم).

بمعنى أنها غير مستقرة على حال. وحجم الأحجبة والخرزات الزرقاء في حقيبتها يدلك على حقيقتها، وفزعها بالأمس حين نعق غراب، وانتفاضتها عندما رأت بومة، وقولها وقد اصفر وجهها: لقد رأيت وجه فلان اليوم، وتعليل كل فشل بالحسد، وكل شجار بالعَمَل[1]، وكل كارثة بالسِّحْر. كل ذلك يدلك على معنى كلمة (متولة).

١٠- المتفيهقة:

والمتفيهقون فسرها النبي ﷺ بالمتكبرون، وتستخدم في الدلالة على المتعالم وخاصة في أمر الدين والفقه والأحكام الشرعية. ولا خلاف بين المعنيين..

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي

---

(١) المقصود بالعمل (نوع من السحر).

مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».[1]

وكلمة حرام وحلال أسرع عندها من (السلام عليكم)، إنها جريئة على الفتوى جرأة لا يقدر عليها لا مالك ولا أبو حنيفة رحمهما الله.

وعندما سردت عليك مجموعة المنهيات الشرعية من وجهة نظرها علمت عندها أنك ستتزوج محتسبًا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر.

***

(١) رواه الترمذي، كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في معالي الأخلاق).

وللفتاة أقول:

وكذلك لا بد أن تعلم الفتاة أن الموقع الشرعي للخطبة في ديننا أنها وعد بين طرفين بالزواج قد ينفذ وقد لا ينفذ؛ حيث إنه غير ملزم ولا مقيد بشرط، فالتحلل منه سهل جدا ودون أي شرط جزائي. ولذلك فهي لا تحل حلالا ولا تحرم حرامًا.

إلا أنها تبيح نوعا من الاقتراب الذي يتيح لكلا الطرفين الفرصة أن يتخذ القرار السليم بالاستمرار أو التراجع. وهذا الاقتراب مشروط بشروطه الشرعية التي يمكن أن نلخصها في ثلاثة شروط بالنسبة للعروس:

١- ألا تكشفي ما حرم الله من جسدك.

٢- ألا تتيحي الفرصة للتلامس الجسدي.

٣- حرمة الجلوس معه بدون محرم.

والاتفاق على أن الوجه والكفين ليسا بعورة.. ولا يجوز ارتداء ما يظهر غير ذلك، أو الشفاف الذي يظهر ما تحته، أو الضيق الذي يصف تفاصيل الجسد.

ولا يجوز التعطر بما تظهر رائحته، ويجوز بما يخفي رائحة العرق ولا يظهر له رائحة.

ويحسن بالفتاة عند اللقاء مع خطيبها أن تنثر في البيت رائحة طيبة؛ مثل بخور أو شيء مثله.

المصافحة:

القول الأكثر رجحانًا هو كراهية المصافحة، وإن كانت هناك آراء تجيزها فالأفضل عدم المصافحة في فترة الخطبة؛ سدًّا لذريعة تحرك الشهوة.(١)

الخلوة:

ألا يكفي قول رسول الله ﷺ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ».(٢)

وقوله ﷺ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».(٣)

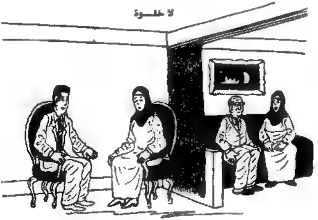

ففي لقاء تريدين أن تظلله الملائكة، هل يحسن أن يكون الشيطان ضمن المدعوين فيه؟!

ويمكن أن يدار هذا الأمر (اللقاءات المتكررة) بطريقة لبقة؛ حيث يجلس الخاطب والمخطوبة في مكان

---

(١) انظر يوسف القرضاوي: (فتاوى معاصرة)، ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب (من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة...).

(٣) رواه الترمذي، كتاب (الرضاع)، باب (ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات).

متسع غير مغلق، ويمر الأهل عليهم، ويفضل أن لا يزور الخاطب مخطوبته إلا في وجود الأب أو الأخ الكبير، وأن يكون هؤلاء من الحكمة بحيث يتيحا الفرصة لهما أن يتبادلا الحديث حول الموضوعات العامة، أو الحديث حول الذات.

الخروج:

وهذا مما يقال عنه « لزوم ما يلزم»، فإن كانت الخلوة في بيت الأهل في وجودهم غير جائزة، فهل يتاح الفرصة للخروج معًا منفردين؟!.

أما في وجود محرم فهي فرصة طيبة لزيادة التعارف، ويحسن أن تكون في مناسبات عامة؛ مثل زيارة مريض أو حضور حفل زواج عائلي، أو غير ذلك.

الأمـــه:

أما عند حضور الأم أو الأخت مع العريس في فترة الخطبة فإن العروس يحسن لها أن تكون في أبهى منظر وأحسن زينة عند استقبالهم؛ حيث إن الغرض الأساسي لهم معرفة ما لا يستطيع هو أن يعرفه. وهي الحالة الوحيدة التي يجوز فيها للمرأة أن تصف امرأة أخرى لرجل (الخاطب).

واحذري أيتها الأم أو الأخت أن تبالغا في الوصف الجسدي، ويكفى أن تطمئنا الخاطب على عدم وجود ما يعيب في جسدها.

وقد بينا من قبل أن رسول الله ﷺ أراد أن يخطب امرأة فأرسل إليها امرأة أخرى، وقال لها انظري: عرقوبها (أي ساقها)، وشمي عوارضها (أي رائحة فمها)، فعلي الفتاة الذكية أن تتيح هذا الأمر لأم خطيبها أو أخته.

الخطبة لا تحل حرامًا:

والمعلوم أن ما ينطبق على المخطوبة ينطبق من باب أولى على أمها وأخواتها وعماتها وخالاتها وسائر أقاربها؛ لأنهن جميعًا أجنبيات لا يحل النظر إليهن ولا لمسهن ولو بالمصافحة: « لئن يضرب أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس يد امرأة لا تحل له».

وعدم الخلوة: قال ﷺ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ».[1]

والاستئذان عند الدخول عليهن؛ لئلا تنكشف العورات.

الكلام بالمعـــروف:

وهو المباح الأساسي الثاني عند اللقاء بين الخاطب والمخطوبة بعد النظر إلى ما يحل الذي تحدثنا عنه في فصل سابق ويشترط أن يكون بالمعروف، ولا داعي لتفصيل هذا المعروف؛ فكلنا يدركه.

وقد سألتني فتاة في أحد اللقاءات: هل يجوز أن يحدثني خطيبي حديثًا عاطفيا أثناء الخطبة، وما موقف الدين من ذلك؟

والحقيقة أن الطبيعة والفطرة لا يقف الإسلام حاجزًا أمامهما، ولكن أريد أن نراجع حكمة الخطبة، والتي تدعو إلى استعمال العقل، فنخاف أن ينزلق الفتى أو الفتاة إلى عاطفة غير متعقلة فيوافقا على إتمام الزواج بالعقد؛ حيث تكون تلك العاطفة قد منعت العقل من العمل فأخفت الكثير من العيوب والتي تظهر بعد العقد.

---

(١) رواه البخاري كتاب النكاح حديث رقم ٤٨٣٢.

هذه واحدة، والثانية: ألا تضع هذه الآية التي وردت في الخطبة حاجزًا أمام الكلام بغير المعروف؟! يقول تعالى: ﴿ولاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إلاَّ أن تَقُولُوا قَوْلا مَّعْرُوفًا﴾[البقرة: ٢٣٥]. فبمجرد أن يقول الرجل للمرأة في فترة عدتها من زوجها كلاما فيه عاطفة أو يدل على ميل مثل «أنا أحبك» أو « يصف شيئا من جمالها الحسي أو غيره يعتبر في نظر الشرع غير معروف، فما رأيكم فيما يمكن أن يقال بين خطيبين من مثل هذا الكلام، هل هو من المعروف؟!.

حب الخطبة

واهمس في أذن كل فتاة بأمرين:

١- تمهلي كثيرًا قبل أن تصدقي عواطفك أو عواطف خطيبك - وأنا لا أشكك في مصداقيتكما - ولكن أحب أن يكون الحب في وقته الصحيح، الذي -قبل الوصول إليه- لا بد أن يمر على درجات خمس أو أكثر، وانظري إلى هذا الهرم واصعديه مع خطيبك خطوة خطوة.

هرم الحب

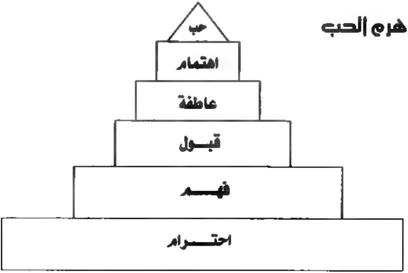

٢- لا تصدي خطيبك بعنف أو بغلظة أو باتهام لمقصده أو لدينه لمجرد كلمة قالها، إلا إذا جاء بعمل حرام أو مكروه كما بينا من قبل. ولكن عليك بالرفق وعدم إنكار أصل الأمر، وهو أن يكون هناك عاطفة وحبٌ بينكما بعد مدة من الخطبة. وعليك بيان أهمية التعقل في هذه المرحلة، وبيِّني له أنك تعطينه فرصة لأن يتأكد من مشاعره بعقله؛ لأن القلب قد يخدعه.

لا تندفع ولا تبخل:

وأنصح كل شاب خاطب ألا يندفع في التعبير عن ميله العاطفي نحو مخطوبته، فإنه في أغلب الأحيان سيكون افتعالا وستكتشف ذلك الفتاة أو أهلها. وفي الوقت نفسه لا تبخل في إبداء إعجابك بما يستحق الإعجاب.

إن إظهار إعجابك بطعام أعدته أو بفكرة أبدتها أو بملاحظة منها هو نوع من التعبير عن عاطفتك.

إن إظهار احترامك لوالديها وودك لإخوتها هو نوع من بيان ميلك نحوها.

أما فيضان المشاعر فقد يؤدي إلى عكس ما نرجو.

قالت لي الفتاة بخجل بعد أن رفضت عريسًا بعد أسبوع واحد من الخطبة:

- لقد صبَّ عليَّ طوفانا من المشاعر، وأنا أعلم أن أسبوعًا واحدًا لا يكفي لتكون عنده كل هذه المشاعر؛ فهو إما كذاب أو.... وغضت عيناها خجلا.

التليفون:

وقد يسأل البعض عن التليفون والخطابات والهدايا الخاصة، نقول: إن كل هذه الأمور لا بد أن تأخذ شكلا عاما ولا تتميز بالخصوصية الشديدة، فلا بأس من السؤال بالتليفون وخاصة في الأوقات التي تحتاج ذلك؛ مثل مرضها أو مرض أحد أقربائها ودخولها امتحان مثلا، أو التهنئة بمناسبة مثل عيد أو رمضان مثلا. ولكن لا يصح جعل التليفون وسيلة اتصال بينهما؛ فهو قد يؤدي إلى عكس ما نتوقع.

ومن الذوق، إذا ردَّ أحد والديها أو إخوتها عليك في التليفون أن تسأله عن أحواله وتفتح معه حديثًا طبيعيا وتنتظره حتى يقدمها هو لك، فإن لم يقدمها فعليك أن تسأل عنها بلطف، ويفضل أن تبين سبب اتصالك، وخاصة للوالدين.

وإذا ردت هي بدايةً فعليك أن تسأل عن الوالدين، وأن تطلب الحديث مع الموجود منهم في نهاية مكالمتك.

ومن الذوق، عدم إطالة المكالمة زيادة عن المطلوب.

ومن الحكمة، عدم النقاش في أمر هام في التليفون؛ حيث إنه وسيلة غير جيدة للحوار.

أما الخطابات:

فالأفضل أن تقتصر على بطاقة تهنئة تحتوي على كلمة قصيرة، وقد تكون الخطابات مهمة في حالة السفر. والأفضل أن تكون ضمن خطاب

عائلي، وتكون اللغة فيه طبيعية.

وفتاوى العلماء حول مثل هذه الأمور تدور في فلك الكراهية إذا زاد عن السؤال الطبيعي والاطمئنان العادي.

وقد قال لي أحد الشباب: إن التليفون يعطى جرأة كاذبة!!

فلما استفسرت منه، قال في حياء:

- قد أكلم مخطوبتي في التليفون، فيأخذنا الحديث إلى كلام جرئ يكسر حواجز المباح وغير المباح في الخطبة.

فإذا قابلتها أجدني وهي أيضا على خجل شديد، وشعور بالخوف وعدم الطمأنينة لما قلناه.

حتى إني فضلت ألا نتحدث تليفونيا، وأن نأجل ما نرغب في قوله إلى اللقاء المباشر.

وقالت لي: لا أطيق تلك الرسائل الإلكترونية (Email) التي يرسلها لي؛ لقد وصلت العبارات إلى مستوى أظن أنه لا يصلح إلا بين زوجين.

نظرت إليها وكأني أسألها، فقالت وهي تخفض رأسها: لقد فسخت الخطبة قبل أن أندم.

أقول لكل فتى وفتاة: لا تحولوا أمر الخطبة إلى تجربة غير رشيدة أو لعبة عابثة؛ فإنها الدعامة الأولى التي سيقوم عليها البيت المسلم القوي.

التقارب العاطفي:

مع طول فترة الخطبة، وكثرة الزيارات، وتعميق التعارف، وظهور الصفات الحميدة القريبة من نفس كل من الخطيبين، مع شعور بالميل نحو الاستمرار يحدث نوع من التقارب النفسي بينهما، ويتحول مع الوقت إلى تقارب عاطفي.

ضوابط قدرات البشر:

وقد بينا الضوابط الشرعية من قبل؛ من تحريم الخلوة، والملامسة، وكشف ما حرم الله.

ونضيف هنا: أن المرأة مع الأجنبي لها سلوك في حديثها يقوم على الجدية في التخاطب، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وهذا ليس مرضًا، إنما بذرة طبيعية وجدت بيئتها للنمو؛ وخاصة عند الشعور بالتقارب والرغبة في استمرار العلاقة.

واحترام العادات والتقاليد التي ترسخت في نفوس الناس وتلازمت مع نشأتهم يضع الأمور في مكانها، فلا يدعي أحد أن حبا مزعوما يمكن أن يجعل الناس يتخلون عن تلك العادات.

احذري يا بنيتي

وأذكر للفتاة النقاط التالية لتفكر فيها جيدًا.

١- عند توقيع عقد الزواج، وفي ساعات الزفاف لن ينسي الرجل لحظات ضعف المرأة (خطيبته) وانقيادها وراءه قبل الزواج، ولو كان هو نفسه الذي أفسد بهاء محاسنها، وشوه صورتها السامية الرائعة.

٢- لقد حذر الأقدمون كل شاب وكل شابة من الانسياق وراء الشهوات قبل الزواج، وقالوا: إن الحب إذا نُكِحَ فسد. فلا تندفعي قبل الزواج، ولا تنساقي وراء رغبات خطيبك (ورغباتك) مهما بدت تافهة ويسيرة.

٣- إذا تذوق الرجل محاسن امرأة قبل الزواج، فقد يزهد فيها ويعافها ويكرهها؛ لأن خياله المتقد كان يصور محاسنها بصورة باهرة أكثر إشراقًا وعذوبة وبريقًا.

٤- إذا لم تفقدي شيئًا نتيجة ضعف رغباتك ورغبات خطيبك قبل الزواج، فإن مجرد هذا الضعف يشبه سحابة سوداء أو بقعة تلطخ بهاء محاسنك البراقة الطاهرة المنشودة، وقد تصده عنك في

أشد لحظات الرغبة العارمة (لو تم الزواج)؛ إذ تأبى السحابة أن تفارق ذاكرته.

٥- وقد يعايرك بها بعد الزواج في لحظة غضب أو عتاب، ثم تصبح هذه المعايرة نفسها سببًا في شقاق أو هجر أو طلاق، فلماذا تحكمين على نفسك قبل الزواج بكل هذه الهموم والمشاكل والمصائب؟!!.

٦- جاءت لي وهي تبكي بكاءً شديدًا بعد (علقة ساخنة) من زوجها، تعوَّد أن يهديها لها منذ خمسة عشر سنة زواج، وسألتني: ما سر صمتي تلك المدة على هذا العذاب؟ إنه يهددني بالفضيحة، وأقسم لك بالله أنه عندما أخذني إلى الطبيب في فترة الخطبة لأجهض ذلك الجنين الذي حملته منه أخبرني الطبيب وأخبره أنني لا زلت بكرًا. ثم نظرت إليَّ من خلف سحابة دموعها وأستار العجب وقالت: لست أدري كيف حدث ذلك؟ ابتسمت بمرارة، وصمتي يعبر عما في نفسي.

٧- **أقول لك يا ابنتي**: احذري من التفريط من البداية؛ فكل ساتر من أستارك تتخلين عنه يقربك أكثر وأكثر من عذاب لا تدرينه، وقد يحدث الحَمْل بالمداعبات الخارجية التي لا تلقي لها بالاً.

القدرات البشرية

أما الضابط الأخير: وهو مدى وحدود القدرات البشرية، فأنا أنصحك بالتالي:

١- محاولة تقصير فترة الخطبة قدر الإمكان، والانتهاء من اتخاذ القرار والاتفاق للوصول إلى المرحلة التي تليها وهي (العقد).

٢- تضييق نطاق الزيارات في فترة الخطبة، مع ترك أمر الاتفاق عليها وإدارتها للوالدين والظهور في مظهر منضبط.

٣- غير مسموح في فترة الخطبة بالحديث التليفوني الطويل، والمسموح به السؤال والتفاهم السريع على أمر حدث فيه سوء نظر أو تفاهم. وإذا شعرتي أن الحديث خرج عن مقصوده فعليك إنهائه بلباقة وتحويله إلى الوالدة أو الأخ أو غيرهم.

٤- غير مسموح إطلاقًا بتبادل الخطابات في فترة الخطبة إلا إذا كان في سفر، والأفضل أن تكون ضمن الخطاب العائلي.

٥- غير مسموح إطلاقًا التعبير عن مشاعرك نحوه (تصريحًا أو تلميحًا)، واتركي لتصرفاتك المنضبطة التعبير، فلن يغيب عنه أبدًا مدى مكانته في قلبك من خلال تصرفاتك.

٦- قوة شخصيتك ستظهر مع إيقافك لأي تجاوز من ناحيته (فعلًا أو قولًا)، دون إحباط له أو إساءة لشخصيته.

٧- اجعلي فترة الخطبة مرحلة دراسة كاملة لخطيبك:

أ- طباعه وقدراته وخلقه وميوله وأفكاره.

ب- أسرته، واندماجك فيها وعاداتهم وتقاليدهم.

ج- توافقك، وقدراتك على تغيير بعض صفاتك للتوافق معه.

٨- إياك أن يجد الوالدان أو الأخوة منك ميلا عاطفيا شديدًا نحو الخاطب، وحولي الأمر دائمًا لرأيهم، مع إظهار عدم رفضك؛

وذلك نوع من اللباقة في التعامل لكسب ود جميع الأطراف.

أما أنت أيها الشاب..

فقط أقول لك: لا تتعجل الثمار قبل أوانها؛ فقد تترك حلاوتها مرارة في نفسك تجعلك تعافها بعد النضج.

فقط أقول لك: ما ترضاه لأختك ارضه لمخطوبتك.

وعليك أن تدرك أن أي تسرع منك قد يفسد ودك في قلب مخطوبتك، ويجعلها تراجع نفسها كثيرًا.

بلا قناع:

الآن يمكن أن نسأل أنفسنا (سواء الشاب أو الفتاة) بعد هذه المدة من الخطبة وبعد التعارف والاتفاق والتقارب: هل رفعنا كل الأقنعة؟

إن السعادة الزوجية تحتاج إلى صدق وعزم وثقة..
صدق مطلق متبادل قبل الزواج، مقرون بعزم راسخ على تهذيب النفس، وثقة متبادلة تدعو إلى كشف بعض الأقنعة.

وأن يكون هذا الارتباط برضا من الله تعالى.

وتنبع الثقة من المشاعر وأيضًا من المنطق، فليصارح كل طرف بما يعجبه في الآخر، ليس بالكلمات الجوفاء وإنما بالأفعال، أما الثقة العميقة فتحتاج إلى وقت لتنمو، ويحين أوانها في ظل السقف الواحد، فالثقة تعطي ثباتًا وقوة للزواج.

والغيرة الهادئة تدفئ القلب، أما الغيرة الهوجاء فعدو خطير للثقة، فهناك درجة لا بد أن يشعر عندها الشريكان أن تقاربهما وعالمهما الخاص لا يمكن اختراقه من عنصر خارجي.

وإذا تعامل الخطيبان بلا أقنعة زائفة، فسيسهل اتخاذ قرار الزواج.

عندما تزول الأقنعة !

عجائب وطرائف الخُطَابْ:

تحدث في فترة الخطبة مجموعة من الأمور يرويها الشباب تدخل من وجهة نظري في نطاق العجائب، منها:

أولا: الغيرة الشديدة من أقربائها

وخاصة أولاد العم والخال لدرجة معاداتهم وخشونة التعامل معهم. وقد تكون أسرة الفتاة متداخلة لدرجة كبيرة فتتعدد المشاكل، وقد يأخذ قرارا بعدم الاستكمال. نقول هنا للشاب: تعقل.

فإن ما بني في عشرات الأعوام لن تستطيع هدمه في أيام.

وعليك في البداية أن تتأكد من حدود هذه العلاقات، وأنها لا تدخل تحت ما حرمه الله ونهى عنه، ثم تبدأ في بيان حكم الشرع في هذه العلاقة، وتنتهز فرصة الحديث بينكما فتبدي رغبتك في تحجيم تلك العلاقات.

واحذر:

١- أن تبدي استياءك أمام الوالدين؛ فإن هذا اتهام واضح لهم بالتساهل.

٢- أن يتحول الأمر لديك إلى شك في سلوك المخطوبة، فعليك إشعارها بثقتك الشديدة فيها وفي دينها.

ولذلك أكرر: اصبر، واتركها هي تتصرف، واعلم أن إلحاحك في هذا الموضوع غير طبيعي.

ثانيًا وهو أعجب العجب: أن تغار من إخوانها الصبيان، وخاصة إن كانوا في مثل سنك أو أصغر قليلًا أو أكبر.

وبعض الشباب جاء يشكو من حنانها الزائد على إخوتها، ورقتها الشديدة في التعامل معهم، وتقديمهم عليه أحيانًا في الاهتمام.

ألا تري أن هذا من أعجب العجب؟

إن وظيفتك الأساسية في الخطبة أن تكسب ود البيت كله وتدخل برفق في كيانه؛ ليستشعر الجميع الراحة معك، أما أن تكون سبب نكد فهذا ما لا تحمد عقباه.

وقد تتحجج أن لأخيها بعض التصرفات غير اللائقة معك؛ خاصة وأنه في الغالب يجلس معكما أثناء زيارتك.

ولن أطيل في الحديث حول هذه النقطة، ولكن أقول لك بكل بساطة: ضع نفسك مكانه؟!!.

كن لبقًا، مهذبًا، مجاملًا. واعلم أنك ضيف ولا يحق للضيف أن يمد قدمه.

ثالثًا، وهي ثالثة الأثافي كما قال المثل العربي: أن تتعامل معها في هذه الفترة وكأنها زوجتك التي لك عليها حق الاستئذان والسمع والطاعة فيبدأ التحقيق: أين كنت يوم كذا؟ ولماذا لم تستأذنني؟ ومع من خرجت؟ وهل كان فلان معكما؟

لا أحب صديقتك فلانة!! لا تزوري جارتك!! لا تذهبي إلى المسجد!! لا تستمعي لفلان!!

توقف ، فإن هذا اتهام لها ولبيتها، اتهام واضح بسوء التصرف، وأنها تحتاج من يعدل سلوكياتها.

افسخي الخطبة

بعد نجاح مرحلة التقارب تكونت لديك معرفة جيدة بشخصية خطيبك، والآن اقرئي الأوراق التالية؛ فهي منقولة من كتب الطب النفسي، وابحثي عن شخصية خطيبك ضمن تلك الشخصيات، فإذا وجدت أن نسبة كبيرة من هذه الصفات منطبقة على خطيبك فأنصحك: افسخي الخطبة.

الشخصية الأولى: المختال الفخور.

الذي يمشي في الأرض مرحًا، قادر على أن يخرق الأرض وأن يبلغ الجبال طولا، فهو المغرور المتكبر المتعالي. المعجب بنفسه، المزهو بذاته إلى حد الجنون، وهذه الشخصية تتسم بعدد من السمات، منها:

١- يرى الناس أقزامًا، فهم جميعًا أقل منه شأنًا.

٢- كل من حوله ينبغي أن يتفانوا جميعًا في خدمته من وجهة نظره.

٣- يستغل طاقات وجهود الآخرين، ثم يضع عليها اسمه وحده.

٤- متعال في ملابسه وفي كلامه وفي مشيته.

٥- يكثر من الحديث عن إنجازاته ومواهبه المتعددة، وفي الوقت نفسه يحقر إنجازات ومواهب الآخرين.

٦- لا يتعاطف ولا يتألم، ولا يضحي من أجل أحد.

٧- حينما يقدم معروفًا فمن أجل مصلحته، ثم لا يتورع عن الإمعان في إذلال من قدم إليهم هذا المعروف.

٨- لا يحقق إبداعًا حقيقيا أو إنجازًا فعليا، ولكنه يجيد التقليد والتزوير.

٩- أصدقاؤه مرحليون؛ لأنه كلما اكتشف أصدقاؤه حقيقته وكرهوا غروره انتقل إلى أصدقاء آخرين؛ حتى يكتشفوا حقيقته، وهكذا.

١٠- يصاب بالاكتئاب إذا نزعت منه السلطة، وإذا أبعد عن دائرة الضوء.

إنه النرجسي (عاشق الذات)

وهو لا يملك أي مساحة لحب أحد سوى ذاته، مما يجعل حياته الزوجية تفتقد الحب وبالتالي تفقد المودة والرحمة، حياة جافة جوفاء سطحية مظهرية شكلية، حياة بلا معنى ولا مضمون ولا عمق، حياة باردة إلى حد الصقيع. بعض الناس لا يحتملون الحياة الدائمة مع إنسان نرجسي، ولذا فالحياة الزوجية قد تنتهي إلى طلاق بعد سنة أو حتى بعد عشر سنوات أو بعد عشرين سنة.

الشخصية الثانية: القلب الجبان.

إنه يشك في كل شيء، ويتوقع عداء أي إنسان، وينتظر الأذى من الآخرين. وأهم معالم هذه الشخصية:

١- كل الناس في نظره سيئون، ويريدون به شرًا.

٢- يظل متمسكًا بسوء ظنه مع ما أظهره له الآخرون من أدلة على حسن نواياهم.

٣- دائمًا في حالة استعداد قصوى لصد عدوان يتخيله، أو إفساد مؤامرة تحاك ضده.

٤- يضع كل من يحاول أن يبعده عن سوء ظنه بالنصيحة في قائمة الأعداء.

٥- يضمر الكراهية أو على الأقل عدم الارتياح أو عدم الحب لمعظم الناس.

٦- شديد اللوم، وجارح النقد، بينما لا يقبل أي نقد أو توجيه.

٧- معدوم الأصدقاء؛ لأنه يتوقع الأذى من كل الناس.

٨- لا يتقبل ظاهر الكلام، ولكن يبحث عن دوافعه الخفية ومعانيه الدفينة، ويحمل الكلام ما لا يحتمل من توقع الغدر والخيانة له.

٩- عواطفه محدودة جدا، فلا تستقبل منه دفئا أو مودة أو تفاهما أو تعاطفا.

١٠- مفتقد لروح الفكاهة والمرح، ونادرا ما يبتسم، وابتسامته صفراء.

١١- صلب لا يقبل حلولا وسطًا.

إنه (الاضطهادي سيء الظن)

وعندما ننظر إلى هذه الشخصية الاضطهادية كزوج نجد أن حياته الزوجية مضطربة لسوء ظنه العنيد وغيرته الشديدة وشكه المريض، وتقليله من شأن زوجته، وحساسيته الشديدة لأي كلمة تصدر عنه. كما أن هذه الحياة يسودها البرود وتغلفها عداوة مستترة لزوجته، فكيف تستمر وتنجح حياة زوجية مع رجل يتسم بهذه الشخصية؟!.

الشخصية الثالثة: الخيال الباهت

١- أناني بلا حدود.

٢- بخيل لا يعطي إلا بمقابل؛ فقد يتنكر لصديق في أشد الاحتياج بينما يتبرع في حفل عام لجمعية ترعى الحيوان، ليقال: إنه محسن.

٣- لا يقبل إلا أن يكون محط كل الأنظار في أي مكان وفي أي وقت.

٤- بارع التمثيل في تعبيره عن عواطفه الزائفة.

٥- شديد الحماس لأي شيء جديد، ولكن سرعان ما يفتر حماسه هذا؛ بل قد ينقلب لموقف مضاد لنفس هذا الشيء.

٦- لا أصدقاء له؛ لأنه متقلب المشاعر، ولا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به.

٧- لسانه لا يتوقف عن الحديث عن نقائص الآخرين وعيوبهم والتشهير بفضائحهم.

٨- التهديد بالانتحار وإظهار ذلك وسيلته في الوصول إلى أهدافه.

٩- حاد المزاج، ينفجر غضبًا لأتفه الأسباب.

١٠- من السهل أن يصاب بأعراض جسدية وهمية؛ كالصرع والآلام المصاحبة لحالته النفسية.

١١- قد يصاب بمرض هستيري؛ كالصمم أو العمى أو الشلل لمدة مؤقتة عند زيادة الضغوط الاجتماعية أو الأسرية عليه.

(إنه الهستيري المزيف)

هذه الشخصية جمال خارجي وقبح داخلي، عاطفة على السطح وخواء بالداخل، حماس بالظاهر وفتور بالباطن، مودة بادية وغدر مختبئ. هي عذاب لكل من يقترب منها، وحياتها الزوجية فاشلة بكل تأكيد.

الشخصية الرابعة: الشيطان رجل.

هذه الشخصية هي تجسيد لكل معاني الشر على الأرض؛ فهي الحقد والأنانية والانتهازية والعدوانية والكراهية والإيذاء، هي الجانب الأسود للحياة على الأرض. إنه مستر هايد الذي أخرجه د. جيكل من القمقم في

القصة المعروفة، وتتسم هذه الشخصية بعدد من الصفات، منها:

١- ماكر، يجيد خداع الناس بقناع المظهر الجميل وسماحة الوجه وبراءة البيئة، بينما هو الشر كله.

٢- صداقاته حسب مصلحته، فإذا انتهت مصالحه داس أصدقاءه، وبحث عن آخرين يحققون له مصالحه الأخرى.

٣- لا قلب له ولا مشاعر تحركه، إنما ملذاته وأهواءه هي التي تقوده.

٤- يخون أصدق صديق، يتسلق فوق كتف أقرب قريب، يدوس على عنق أعز عزيز ليصل لهدفه.

٥- كذاب، يجيد الإقناع بكذبه.

٦- متعدد العلاقات الجنسية غير الشرعية القائمة على الرغبة البحتة.

إنه السيكوباتي الشرير

هذا السيكوباتي صاحب أسرة فاشلة؛ فهو زوج فاشل وأب فاشل كما كان ابنا فاشلا وأخا فاشلا، ولا يتحمل أدنى قدر من المسئولية كزوج أو كأب.

لا تفزعي

أعلم أنك ستبدئين بعد قراءة هذه الكلمات النظر إلى سلوكيات خطيبك نظرة الشك، وهذا ما لم أقصده، وإنما أردت فقط أن أخبرك أن هناك تجميعات من العيوب تتراكم أمامك في هذا الخطيب المتقدم. ورغم

ذلك كله فإنك لا تجدين في نفسك أي قوة في فسخ الخطبة، وتستمري في الموضوع كأن مرحلتي الاختيار والخطبة لا حاجة لهما، ثم تأتين باكية شاكية، وتقولين: **يبدو أنني لم أحسن الاختيار.**

فقط أنبهك إلى أن الشخصيات السليمة السوية هي الأصل، ولكن إذا كان حظك في شخصية مريضة -مثل النماذج السابقة- فلا تترددي في فسخ الخطبة، وكل شيء نصيب وقَدَر.

إما إذا اتخذتم قرار العقد، فإنها مرحلة جديدة تحتاج منا إلى وقفة عند بدايتها. وأعدكم بها في إصدار قريب إن شاء الله.

مع تمنياتي بأحلام هادئة وقرار سعيد

د. أكرم رضا

المراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣- الأسرة: التكوين، الحقوق والواجبات، دراسة مقارنة في الشريعة والقانون، أحمد حمد، طبعة المؤلف، (بدون بيانات نشر)، ١٤٠٦هـ ١٩٩٤م.

٤- تحرير المرأة في عصر الرسالة، دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم، وصحيحي البخاري ومسلم، عبد الحليم أبو شقة، دار القلم، الكويت، ط (١٤١٦هـ ١٩٩٥م).

٥- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، بيروت، دار المعرفة، ط ٩، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٦- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، بيروت، دار المعرفة، ط٩، ١٤١٧هـ.

٧- تنظيم الإسلام للعلاقات الاجتماعية في الأسرة، سمية محمد علي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٣٠٥هـ).

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري.

٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ.

١٠- رسائل إلى ابنتي (شروط العريس والعروس) كريمان حمزة، مجلة الأمة، قطر، السنة الأولى، العدد السادس، جمادي الآخرة، ١٤١٠هـ إبريل ١٩٨١م.

١١- شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية، محمد زيد الأبياني، القاهرة، دار الشعب، ١٣٢١هـ.

١٢- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- فتاوى معاصرة، يوسف القرضاوي، دار القلم، الكويت، دار الوفاء، مصر.

١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت القاهرة، دار الشروق، ط ٢٣، ١٩٩٤م.

١٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

١٧- القرآن الكريم المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٨- مغني المحتاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

١٩- المُغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٠- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، الدكتور/ عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

٢١- نيل الأوطار، الشوكاني.

* * *

الفهرس

الإهداء ٥
المحتويات ٧
مقدمة : الأحلام المباحة ٩
مدخل : الزواج خير كله ١٣
الباب الأول: من فقه الاختيار
الفصل الأول: حسن الاختيار بداية الاستقرار ٢٣
أولا: معيار الدين ٢٦
ثانيًا: معايير القبول ٣٧
١- معيار الشكل ٣٩
٢- بكر أم ثيب ٤٢
٣- معيار الكفاءة ٤٤
٤- المعيار الاجتماعي ٥٢
٥- معيار القبول القلبي ٥٣
قضية الحب ٥٤
الحب أثناء الخطبة ٥٦
هل تختار المرأة الرجل؟! ٦٧
الفصل الثاني: من لا يحل خطبتها ٧٣
الشرط الأول: ألا تكون محرمة على الخاطب ٧٤
الشرط الثاني: المعتدة ٧٤
الشرط الثالث: أن لا تكون مخطوبة للغير ٧٧

الباب الثاني :بداية الأحلام

الفصل الأول: كيف تختار زوجة تسعدك؟ ٨٦
أدوات الاختيار.. ٩٠
الخطوة الأولى: متى؟ ٩١
أين الباءة؟.. ٩٥
الخطوة الثانية: لماذا؟... ١٠٠
أرجوك.. لا تتزوج ١٠٧
الخطوة الثالثة: مَنْ؟... ١٠٩
أولا: لماذا ذات الدين؟ ١١٢
ثانيًا: جمالها.. ١١٨
ثالثًا: التكافؤ.. ١٢١
الخطوة الرابعة: أيــــن؟ ١٢٥
١- الأقارب.. ١٢٦
٢- المعارف.. ١٢٧
٣- الأماكن العامة ١٢٧
والدعاء.. ١٢٨
الخطوة الخامسة: كيف؟ ١٢٩
أولا: الاستشارة.. فما خاب من استشار. ١٢٩
ثانيًا: التأكُد.. ١٣٠
ثالثًا: الرؤية.. ١٣٠
رابعًا: الاستخارة. ١٣١

الفصل الثاني: كيف تختارين زوجاً يكرمك؟ ١٣٣
أدوات الاختيار ١٣٧
الخطوة الأولى: متى؟ ١٣٨
دموع الندم ١٤٠
الخطوة الثانية: لماذا؟ ١٤١
الخطوة الثالثة: مَنْ؟ ١٤٣
أولاً: من ترضون دينه ١٤٥
ثانيًا: التكافؤ ١٤٨
ثالثًا: المظهر الخارجي ١٥٣
الخطوة الرابعة: أين؟ ١٥٨
ارفعي الحواجز ١٦٠
الدعاء ١٦١
الخطوة الخامسة: كيف؟ ١٦٤
الاستشارة ١٦٤
المنامات ١٦٥
مهارات الاختيار: تدريب عملي ١٧٢

الباب الثالث: حتى نحقق أحلام الخطبة

هيا بنا نحلم!! ١٨٥
الفصل الأول: من فقه الخطبة ١٨٧
كيف تتم الخطبة؟ ١٨٧
حكمة الخطبة ١٩٤

النظر ما بعد الخطبة.................................. ١٩٥
الزينة عند اللقاء.................................. ١٩٨
والمخطوبة أيضًا تنظر.................................. ١٩٩
العدول عن الخطبة.................................. ٢٠٠
الفصل الثاني: اللقاء الأول.................................. ٢٠٧
اتخبأ لها.................................. ٢٠٨
من سيصحبك؟.................................. ٢٠٨
المخطوبة في اللقاء الأول.................................. ٢١٥
الفصل الثالث: مهمات مرحلة الخطبة:(الاتفاق-التأكد- التقارب).... ٢٢٣
أعط المرحلة حقها.................................. ٢٢٤
المهمة الأولى: الاتفاق.................................. ٢٢٧
مفردات الاتفاق.................................. ٢٣٢
الفتاة والاتفاق.................................. ٢٤٠
المهمة الثانية: التأكد والتعارف.................................. ٢٤٢
ابحث عن أم.................................. ٢٤٣
هل هو امتحان؟.................................. ٢٤٥
المهمة الثالثة: التقارب وآداب الخطبة.................................. ٢٤٦
انسحب أفضل لك.................................. ٢٥٠
المصافحة والخلوة والخروج.................................. ٢٥٨
إلا أمـــــه.................................. ٢٥٩
الخطبة لا تحل حرامًا.................................. ٢٦٠

حب الخطبة ٢٦١
التليفون والخطابات ٢٦٣
التقارب العاطفي ٢٦٥
احذري يا بنيتي ٢٦٦
بلا قناع ٢٦٩
عجائب وطرائف الخطاب ٢٧١
افسخي الخطبة ٢٧٤
لا تفزعي ٢٧٩
المراجع ٢٨١
الفهرس ٢٨٣

مؤلفات د. أكرم رضا مرسي

الأسرة المسلمة في العالم المعاصر: (البحث الفائز بجائزة مكتبة الشيخ/ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية، وزارة الأوقاف - قطر، لعام ١٤٢١ هـ، الموافق ٢٠٠٠م)، تم ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية.

سلسلة «أولادنا»: ١ - بلوغ بلا خجل.

٢ - مراهقة بلا أزمة: الجزء الأول «ترويض العاصفة».

٣ - مراهقة بلا أزمة: الجزء الثاني « فنون تربوية ».

٤ - شباب بلا مشاكل: الجزء الأول « رحلة من الداخل».

٥ - شباب بلا مشاكل: الجزء الثاني «خصوصيات البنات» (تحت الطبع).

٦ - شباب بلا مشاكل: الجزء الثالث «ويسألوني».

سلسلة «إدارة الذات»: ٧ - إدارة الذات: «دليل الشباب إلى النجاح».

٨ - بلا ندم: «كيف تحل مشكلاتك وتتخذ القرار الفعَّال؟».

٩ - لقاء الجماهير: «برنامج الحديث الإقناعي وفن توصيل المعلومات».

١٠ - برنامج تدريب المدربين: «كيف تكون مدربًا مؤثرًا».

١١ - متعة النجاح: «حتى نعلم معنى السعادة».

سلسلة «المرأة وإدارة الذات»: ١٢ - جدوي السفينة: «حتى نعبر الصراط».

١٣ - زينة المرأة حسن الخلق (١) «كيف تجاورين الحبيب ﷺ».

١٤ - زينة المرأة حسن الخلق (٢) «حتى تجدي من يشفع لك».

١٥ - درة التاج الثقافة: «كيف تكونين مثقفة فكرًا وعملاً وسلوكًا؟».

١٦ - الحلال الطيب: «حتى يستجاب الدعاء».

سلسلة «بيوتنا وإدارة الذات»:

١٧ - أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا «حوارات مع الزوجين».

١٨ - بالمعروف «حتى يعود الدفء العاطفي إلى بيوتنا».

١٩ - على أعتاب الزواج (مهارات الاختيار والخطبة).

٢٠ - كيف تبنين بيتًا سعيدًا؟ (دور الزوجة).

٢١ - بيوتنا في رمضان.

٢٢ - بيوت بلا ديون (كيف تضبطون ميزانية بيوتكم؟).

٢٣ - قواعد تكوين البيت المسلم «أسس البناء وسبل التحصين».

كتب أخرى:

٢٤ - أبو مازن: «حياته وحوارات معه مع مجموعة الأناشيد الكاملة».

٢٥ - وذكرهم بأيام الله: «ستة أيام من أيام الله».

٢٦ - الطب النبوي: «دراسة صيدلانية حول العقاقير النبوية».

٢٧ - اعمل بنفسك جدول المذاكرة.

٢٨ - الردة «مراجعات نصية تطبيقية»

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس: ٣٦٣٣١٣ - ٣٦٣٣١٤
Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel.: 015 / 363314 - 363313
مكتب القاهرة: مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت [illegible] - تليفاكس: [illegible]

هذا الكتاب

يقرأه الزوجان معاً .. وإن كان عبارة عن قسمين ، القسم الأول موجه إلى الزوجة ، والثاني موجه إلى الزوج ، إلا أنه يقرأه الزوج بقسميه ليعلم ماله وما عليه ، وتقرأه الزوجة بقسميه لتعلم ما لها وما عليها

إنها حوارات مع الزوجين ، أوراق ورد متناثرة في جنبات عشكم الجميل ، وأذكركم أن الورد لا يخلو من أشواك .

تلك هي الحياة في بيوتنا بوردها وأشواكها ، فهل نستطيع أن نتقبلها هكذا !!

إنها حوارات مع الزوجين أرجو بتسجيلها هنا أن تصبح حوارات بين الزوجين ، وهي باكورة لسلسلة جديدة موجهة إلى وحدة بناء المجتمع .. (الأسرة) .

شعاع أمل ، وزهرة حب ، ودفء عاطفة ..

سلسلة بيوتنا وإدارة الذات .

الناشـــر

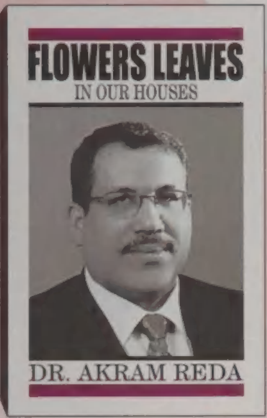

على أعتاب الزواج

20-00

GBS
Gheras Bookstore
غراس للنشر والتوزيع

ألفا
للنشر والتوزيع

دار ألفا للنشر والتوزيع
alfa_eg@hotmail.com
alfa_eg@yahoo.com
www.alfaeg.com
+2 02 7802772 - +2 0106300026

Alfa For Publishing & Distribution

Designed by Abdul Rahman Magdy